المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الحادي والسبعين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٢٧ — الموافق ٦ جماد اول سنة ١٣٤٦

كلمة المغفور له الزعيم الجليل

سعد زغلول باشا

في عيد المقتطف الذهبي

يمثّل « المقتطف » في الشرق عموماً وفي مصر خصوصاً ، ثمرة المعارف الواسعة والفنون النافعة ، والجد المتواصل ، والود الصحيح ، والتعاون الدائم ، والرغبة الصادقة في تقويم الافهام وتثقيف الاذهان ، فالاحتفال بعيده الخمسيني ، انما هو احتفال بملاك هذه الفضائل ، ومشرق أنوارها

سعد زغلول

كلمة للمرحوم الدكتور صروف

في المغفور لهُ الزعيم الجليل

... وقد عرفنا نحن سعد باشا وهو محام والالسن تلهج بقوة عارضته في الخطابة وبلاغة حجته في الدفاع عن حقوق موكليه وكنّا نعجب ببلاغة ما يخطهُ قلمهُ ونرى فيهِ أدلة الحزم الشديد مع جلاء الفكر كأنّ الحقائق متى اتضحت لهُ ترتسم في ذهنهِ بصور جلية لا يخامرها ريب ولا يكتنفها شكٌ فيجزم بها جزماً . ولعلّ لهذا الخلق خلق الحزم وعدم التردُّد الشأن الاكبر في نجاح العمل العظيم الذي توخاهُ . ولما كانت المسألة المصرية في أدوارها الاولى قال لنا وكرر القول « سنستقلُّ سنستقلُّ وترفع الحماية حتماً » ثم لقيناهُ في لندن في صيف سنة ١٩٢٠ فكرر لنا هذا القول

ومما يذكر بالاعجاب ولا يسع أحد انكارهُ أن سعد باشا امتلك القلوب ببلاغتهِ في اظهار حقوق أمتهِ والدفاع عنها

مررنا بشربين منذ سنتين (سنة ١٩٢٢) فلقينا رجلاً من نبغاء المصريين ومعهُ ابنهُ وهو في التاسعة أو العاشرة من عمرهِ فقلنا لهُ على سبيل المداعبة أسعدي أنت ؟ فوقف ورفع رأسهُ كأنهُ شاب مستعزٌّ بقوتهِ وقال بأعلى صوتهِ نعم أنا سعدي وكل أولاد مدرستنا سعديون ولا رئيس الاّ سعد . ثم أخبرنا أبوهُ ان أخوات هذا الفتى يعنفنهُ أحياناً ويقلن لهُ انهنّ لسن من حزب سعد فيغتاظ منهنّ ويخاصمهنّ ويبكي . وألقينا هذا السؤال على جماعة كبيرة من الفلاحين فقالوا كلهم انهم سعديّون ....

صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزراء

مقتطف نوفمبر ١٩٢٧

امام الصفحة ٢٤٣

نواحي عظمة سعد

لم نكد نكفكف الدمع على فقد منشىء المقتطف وعميده في ٩ يوليو الماضي حتى دهمنا القدر بوفاة زعيم الامة المصرية وقائدها الجليل في ٢٣ اغسطس . فمن علينا ان يصدر أول جزء من المقتطف بعد عطلة الصيف والصدور في محافل العلم وأندية السياسة عاطلة من قائدها الحكيم وعلامتها الحكيم

وقد كان زعيمنا الراحل العظيم الى جانب تفرده في الزعامة السياسية وتفوقه على الاقران في الحصافة والكياسة، نصير العلماء وخير قادر لاحسان المحسنين . فصدرنا هذا الجزء من المقتطف بكلمة خالدة لهُ قالها في المقتطف ومنشئ المقتطف يوم قام العالم العربي يحتفل بعيدها الذهبي . واتبعناها بكلمة للمرحوم عميد المقتطف نشرها بعد ما تولى المغفور لهُ سعد باشا رآسة الوزارة الدستورية الاولى في ٢٨ يناير سنة ١٩٢٤

ننشر هاتين الكلمتين ، مستمدين من روحي الراحلين الكريمين الحكمة والقوة للانطلاق في السبيل الشريف الذي فتحاهُ امامنا سعياً الى غايات الرفعة والكمال . وقد نشرنا فيما يلي خطبتين نفيستين اخترناهما من الخطب والقصائد التي تليت في حفلة التأبين الكبرى التي اقيمت في ٧ اكتوبر الماضي ويليهما جانب من بحث تاريخي بليغ في سيرة الفقيد للاستاذ المحقق صبري بك ابو علم عضو مجلس النواب

—١—

خطبة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزراء

ايها السادة

في هذا الجمع الحاشد الذي يريد كل فرد فيه أن يؤدي حق فقيدنا العظيم عليه وعلى البلاد إما بالدموع الصامتة والذكرى الباقية ، وإما بالزفرات يرسلها كلمات وبحياة الفقيد يحيلها مناقب وعظات ، أردت ان يكون لي نصيب في الوداع الناطق للراحل الكريم

ولكن سعداً ليس كغيره من الرجال ، فلكل عظيم ناحية من العظمة ولسعد منها نواح متعددة ، والعظيم يملأ فراغاً في جانب من الحياة ، وسعد قد شغل الحياة المصرية عامة ، فقد اجتمع فيه تاريخ مصر الحديث ، وانتهت اليه نهضتها الكبرى ، فلا غرو اذا

جلّت مصيبتنا في فقده ، وكثرت وجوه القول وتعددت شعاب الذكرى فيه

لذلك لست ادري ايها السادة فيما احدثكم عن سعد . أأحدثكم عنهُ محامياً ، وقد كان في المحاماة ، رحمهُ الله علماً ظاهراً ، وكان من غير مثال يحتذيه ، نابغ ذلك الفن الخطابي الجديد واحد كبار مؤسسي تقاليد تلك المهنة الشريفة . وكان فوق ذلك سبّاقاً الى اغاثة الملهوف ونصرة المظلوم

أم أحدثكم عن سعد قاضياً ، وقد كان الناس الحقيقة وتوخي العدالة عنده غاية هان عليه في سبيلها بالرغم من اكتمال رجولته ، وسلامة سليقته ، وتفوقه على غيره من القضاة ، ان يعود طالباً يأخذ بأسباب الطلب والتحصيل

ام احدثكم بأثره في القضاء وعالم القانون وقد كان فيه حجة ومرجعاً تشهد لهُ احكامهُ وبحوثهُ باصالة الرأي ومتانة العلم

ام احدثكم عنهُ وزيراً قبل قيام الحرب وتاريخهُ ناطق بفضله عما ادخل من اصلاح في وزارتي المعارف والحقانية ، فضلاً عما لقي من العنت في سبيل استقلاله في الرأي وشجاعته في الحق . وليس اوجب على الوزير وبلاده تتطلب شتى وجوه الاصلاح وهو ادرى الناس بحاجياتها من سواه واعلمهم بموضع الداء وطب الدواء من ان يكون محترم الشخصية ، مستقلَّ الفكر ، حرّ الارادة ، اللهمَّ الا فيما يحددها من سلطان دستور البلاد

ام احدثكم عنهُ مصلحاً في الشؤون الاجتماعية وقد اقترن اسمهُ باسماء كبار المصلحين في عهد مصر الحديث سائراً في الطليعة او مؤيداً وظهيراً

ام احدثكم عنه خطيباً وكيف يبلغ من الخطابة غاية تنقطع دونها الاعناق وليس فيكم من لم يسمعه ويعلم ما اجتمع لهُ من صوت ممتع آخذ بمجامع الحواس نافذ الى النفس ومن سهولة وترسُّل وفيض في الفكر والقول وبراعة في السياق وقدرة على التصوير الى غير ذلك مما جعلهُ يجري في عواطف سامعيه ويصرف عقولهم من حيث يشاء الى حيث يريد

ام احدثكم بمواهبهِ الفكرية ومناقبه العامة والخاصة مما سمعتم وستسمعون واني لاعلم ان الحديث في سعد محبَّب وان التكرار فيه لا يُملُّ اذ كان يكتسب من ذكراه روعة وطلاوة ولكن الوقت ضيق والخطباء كثيرون ويكفيني ان احدثكم عنهُ صديقاً وزعيماً سياسيًّا

اما الصديق وعهدي بصداقته طويل ، فقد الفيتُ منه طول هذه المدة خير ما يجد

الصديق لدى الصديق ، طيب اخاء ، وصدق عهد في المشهد والمغيب ، ووفاء على القرب والبعد ، وصراحة في غير جفاء ، واخلاص نصح وسداد رأي في المشورة . ولا انس ان انس سعداً محدثاً فقد كان متاعاً لا يُملُّ ، وذخراً لا يبلى فاضت من حسن محاضرة وحلو فكاهة ولطف مدخل ، وبراعة تنقل ، وسحر حديث . فاذا جادل او ساجل فهو البحر تدفقاً واندفاعاً . هذا الى خصوبة في الفكر ، ومتانة في التدليل كان فيهما الايجاز

واذا كان الدهر قد ضرب بيننا بضرباته حيناً من الزمن فان احبَّ سلوى وافضل عزاء على ما القاه من الحزن على فقده اننا عدنا كما بدأنا ونسينا تلك المحنة وطابت الصداقة بيننا وصفا الاخلاص

واني لاذكر في ايجاب لا حدَّ لهُ ولكنهُ ايجاب ملؤهُ الحزن والاسى لقاءنا بعد ان توحدت كلمة الامة واجتمعت احزابها بفضل حكمة الفقيد العظيم وما أظهرهُ من تفان في المصلحة العامة . فقد كان سعد يومئذٍ كما عرفتهُ دائماً — كان رقيق القلب وفيًّا للاصدقاء حريصاً على مصلحة مصر

ولن أنسى تلك الساعة العذبة التي لقيت فيها سعداً في ذلك الظرف من ظروف حياتنا السياسية — لقد جدَّ سعد في محو الخصومات وازالة الفرقة وحمل الامة كلها على الائتلاف واتحاد الكلمة حول المصلحة الوطنية المقدسة فوفق الى ما أرادَ التوفيق كله

وان قلبي ليتفطر لوعة حين اذكر اللحظة التي لقيت فيها سعداً منذ اشهر قليلة أودّعهُ قبيل سفري الى اوربا بعد ان لقيت من معونته وتأييده ما ملأني اعجاباً به واكباراً لهُ وتقديراً لفضله على امته وحرصه على فوزها . في هذه اللحظة ايها السادة كان زعيم مصر يقدر حق القدر ان قضية مصر تقطع طريقاً من اصعب الطرق وأشقها وكان يقدر السبء الذي يحتملهُ بحكم زعامته كما كان يقدر العبء الذي احتملهُ بحكم رآستي للحكومة ولكنهُ كان يضحي بكل شيء في سبيل قضية البلاد فانطلقت من عينيه حينئذٍ دموع تمثل هذه العواطف كلها ، تمثل عظمة الرجل الذي يلقى المصاعب في غير ضعف ولا وهن

أما سعد زعيماً سياسيًّا فكأني بسعد انما خلق لذلك والواقع ان الزعامة في سعد ليست جديدة فقد كان زعيماً في المحاماة والقضاء والوزارة مقدماً في كلها ذا أثر بعيد وطابع خاص وشخصية بارزة فيها جميعاً ولكن الله لم يرد ان يقبضهُ اليه حتى تم لهُ

كبرى الزعامات زعامة الامة في نهضتها الى الحياة وتقرير حقها في الوجود والاستقلال. ولكن كيف تهيأت له تلك الزعامة ؟

ليس من ينكر ما كان لسعد من المهابة والجلال ، وليس من يجهل ما كان لهُ من المقدرة على استثارة الهمم واستنهاض النفوس طوراً بحديثهِ الاخاذ وطوراً بخطبهِ الفياضة بحرارة الشعور وشدة الايمان بالوطنية ولكن سعداً جمع الى ذلك قوة روحية خصهُ الله بها

ولقد كان للمواهب النادرة التي حباها الله فقيدنا العظيم أثرها البالغ في نهضتنا الحاضرة من تنبيه الشعور القومي وقيام البلاد على بكرة ابيها للمطالبة باستقلالها

ثم رأينا الزعيم الراحل رئيساً لمجلس نواب مصر المستقلة فكان في عدل القدر درساً آخر عظيماً لكل مضحٍّ بنفسه في سبيل امته فكما اراد القدر أن تكون تربية البلاد تربية دستورية وتأسيس التقاليد البرلمانية فيها على يديه. ولقد شهدتم جميعاً كيف كان يدير جلسات مجلس النواب بحكمة ولياقة واصالة رأي شهد لهُ بها القريب والبعيد معطياً لكل متكلم قسطهُ من حرية الرأي وحرية القول في حكمة واعتدال وتبصرة وسداد فلنذكر نعمة الله عليه وعلى مصر شاكرين

أيها السادة — ان ذلك الجسم الذي غالب الامراض فغلبها الى ان اختطفهُ الموت وأخذهُ غيلة قد اصبح معنى لن يفتأ يطالعكم من وراء السنين والحقب هو معنى الوطنية العاملة التي تقضي على كل فرد بان يقوم بواجبه ساعياً في سبيل الكمال . وان ذلك الخطيب الذي سحر عقولكم ببانه مدى حياته يلقي عليكم بموته أبلغ خطبة خطبة الفناء في سبيل خدمة الوطن ونصرة قضيته

ان حزننا على فقيدنا عظيم ولكن يجب ألا يكون عقيماً وخير ما يلد هذا الحزن هو حسن التأسي. فلنتأس بسعد في جهاده للحق وصبره على المكاره ودعوته الى ضم الصفوف وايثار المصلحة العامة

واني لأعلم اني لا انبه غافلاً ولا اوقظ نائماً فان سيرتكم منذ مات سعد ناطقة بان روحهُ لا تزال معكم ولا اشك انكم لن تزالوا سالكي هذا الطريق في توفيق من الله وتأييد من صاحب العرش. واوقن انه ليس احب الى سعد في تبرمه من ان تتاثروا على المضي في هذا الطريق الحكيم حتى نبلغ غايتنا جميعاً

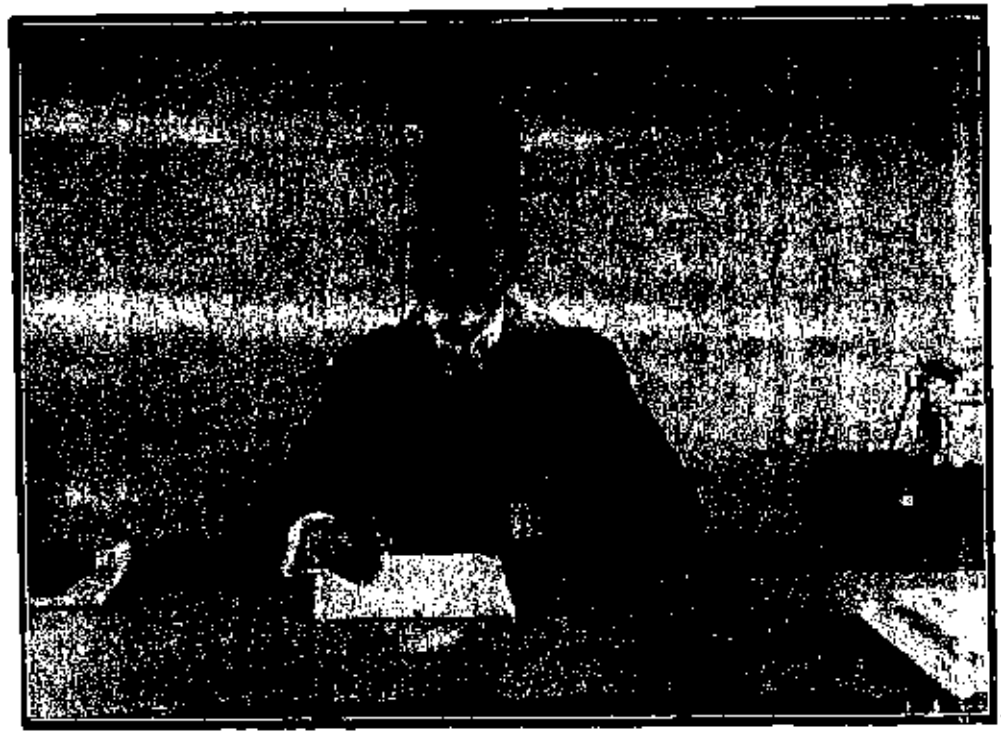

صاحب المعالي مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصري

مقتطف نوفمبر ١٩٢٧

أمام الصفحة ٢٤٧

وانت ايها الراحل الكريم

ثم هادئاً مطمئناً فان البرّ الذي بذرته من خلال حسنة ودعوة صالحة سيؤتي ثمره ان شاء الله وستحفظ لك مصر اطيب الذكرى . واذا كان لمحزون ان يتعزى فان في هذه الجموع التي تنوه برزئك الكبير بعض العزاء لشريكتك في الحياة التي شاطرتك المتاعب والآلام والتي جمعت الى صفاتها الممتازة انها كانت خير مثال للحب والوفاء كما ان في الروح التي بثتها في الامة بعض العزاء للصديق الذي فقد بموتك العضد البار الوفي الأمين فرحمة الله ورضوانه عليك

—٢—

خطبة رئيس الوفد المصري مصطفى النحاس باشا

في حفلة التأبين الكبرى

حضرات اصحاب السمو . حضرات أصحاب الدولة والمعالي . سيداتي . سادتي

أتقدم والخشوع يملأ جوانحي . والاجلال يفعم قلبي باطيب التحيات المباركات الزاكيات لروح سعد في جوار ربها تنعم في رضوانه ، وتتقلب في احسانه ، وتتعطف عليها ملائكته ، وتستقبل من صالح العمل ما قدمتهُ . واستلهم منها الحكمة وفصل الخطاب

سيداتي . سادتي : يطوي الموت اعمار الرجال ، ويغيبهم في اطباق الثرى ، ويبقى لهم في مضمر القلب ود ، وحب ، ولوعة ، وادكار . فتقام الحفلات تنويهاً بشأنهم ، واشادة بذكرهم ، يذاع فيها ما كان كائناً ، وفاء لهم ، وبقياً على آثارهم . لكن اجتماع اليوم لم يكن لاذاعة محمدة ، فمحامد سعد ذائعة ، ولا لاشهار نقية فنقائب سعد حديث كل انسان . وماذا عسى ان يقال في سعد والدنيا تهتف باسمه ، ويكتب الخلود اسفار تاريخه . انما اجتماع اليوم في الحق وفاء لانفسنا ، وغذاء لارواحنا ، وادكار لفضائل سامية ، وغرائز نامية ، تهفو لها النفوس . وتقبس من سناها . وتنمو لها الوجوه وتطرق في حضرتها ، ثم تحفظ منها ، وتنقل عنها

سيداتي . سادتي : اننا الآن في ذكرى سعد الكبير القلب ، العبقري العقل . العظيم النفس . ولست امثلهُ الا كالطود الشامخ ترتدُّ امامه الاحداث متكسرة متداعية ، وفي ثناياهُ عيون يفيض سلسالها ، ويزلزل هديرها ما استحجر من بغي وطغيان ، وفي جنباته مروج ناضرة ، وجنات الفاف . فسعد من كلّ نواحيه روعة

النفوس ، وسكينة القلوب ، باعث للرهبة والجلال

خرج سعد من صميم المصرية . وتدرج في بنائها ، وتعرف مواطن ادوائها ، واكبر الحيف النازل بها ، فافنى نفسه في حبها واعظامها مفتخراً بها ، ممجداً حقوقها ، مشرفاً بزعامتها

ثم قدر ما يتطلبهُ الدفاع عنها من جهود مضنية ، وهموم ناصبة فاحتملها باصطبار وجلد ما روعهُ خطب ولا زحزحهُ وعيد . ولا انساهُ السرور المفاجيء عظم التبعات ولا شدة المسئوليات

سمع وهو في مالطة بأ الافراج فاستبشر هنيهة كما حدثنا ، ثمَّ تمثلت امامه الغاية الكبرى والامانة العظمى فاغرق في التفكير محصناً بالعقيدة الوثيقة معلناً ان حق مصر غالب على كل امر ، وانها لا تخلد الى ضيم يراد بها . فاشهد العالم اجمع على جلال الوطنية المصرية ، وحملهُ على الاعجاب بالحكمة والحزم اللذين كانا وما زالا شعار الامة لتحريرها . وها هو موته أبان عن قوة الايمان الوطني ، وتكشف عن عقيدة سعدية جمعت الامة حول فكرة تؤدي شعارُ الاخلاص ، ونسك الوفاء ، جزاء ووفاقاً ، وتقطع على نفسها العهود والمواثيق لتصبرن على ما ابتلاها ولتعملن لاتمام بنائها

سيداتي . سادتي : لقد رأينا قلوب الامة تتحرق يوم منهاه ، وزفراتها تتصعد امام مثواه ، ولا تزال تمجد ذكراه واشهد الله ان سعداً وهب لامته من نفسه وعقله وقلبه وحسن جهاده ما لا قبل لها بشكره وانما جزاؤه الاوفى عند ربه الاعلى وسوف يرضى

ان سعداً صدق ما عهد الامة عليه ، فكان اميناً في رسالتها بليغاً في التعبير عنها يخشى خديعتها ويحذر الشر ان يحيق بها ، ويقنع نفسهُ بخيرها اولاً ثم يقنعها بقبوله آخراً

تجلت تلك الحقائق في اسلوبه السياسي الصريح يوم قام مدافعاً عنها في بلاد الانجليز فكانت حقائق مهيبة عظيمة تصدر عن ممثل الامة الذي التفت حوله القلوب وخفت بروحه الارواح . ومتى شعر سعد بروح الجماعة او تمثلها ثمَّ ما شئت من قوة ورهبة وعظمة

لقد كانت ارواح الجماهير تجد في نفس سعد مجتمع آمالها ومستقر سعادتها ، وملتقى ما تصبو اليه من سمو وكمال

وسعد تتسع نفسهُ لتلك الارواح ثم تعصرها وتتأثر منها ثم تكبرها وما زال سعد يتطلب روح الجماعة ويسائل عنها

جاءه رجل حجَّ بيت الله فسألهُ سعد : اي الرشيد احسست به في الحج؟ فسكت

الرجل . فقال لهُ : لعلهُ مشهد عرفة . فقال له الرجل نعم . فسألهُ لماذا ؟ فما استطاع كلاماً . فقال لهُ سعد : انها روح الجماعة تهز النفس وتثير كل المعاني الكامنة فيها

نعم هي كل المعاني التي اختصت بها نفسهُ وانطوت عليها جوانحهُ حتى ليضحي بكل عزيز — بالراحة بالمال بالنفس ليحقق لبلاده استقلالاً ندبتهُ الاقدار لهُ وشغلت قلبهُ به متذوقاً قسوة الآلام ، صابراً على فداحة الخطوب

تلك التضحية من فضائله المتأصلة ، فطرة الله التي فطر سعداً عليها . فلقد آذنت أهدنة ان تعقد والجو أكلف والسماء تبرق وترعد وحقوق البلاد تهب مقسم . فكنا نحن الشبان نفكر في رجل يتقدم الصفوف ويؤدي رسالة الامة ويلفت العالم الى مصر مصر المكبلة في الاصفاد المأسورة في حدود البلاد . فهدانا التفكير الى سعد ورأينا مفاتحتهُ في الامر الجلل لكنا رأينا سعداً يسير على فطرته ويمد مع جماعة من رفاقه للامر عدتهُ سبّاقاً الى الغاية ، فما نهنا غافلاً ، ولا ذكرنا ناسياً ، ولكنا ابتناه واقتدينا بتفانيه في الفكرة الوطنية

سيداتي . سادتي : لقد بهرنا هذا التفاني في خدمة البلاد من شيخ تكالبهُ الامراض وتنهبه الاحداث . لقد كان يحدثنا في سيشل : سأموت هنا رضي البال ، وتعودون انتم . ولكن موتي بعيداً عن مصر سيذكي نار الوطنية في قلب الامة ويقفها صفاً واحداً تدافع عن حقوقها

ان سعداً في تفانيه كذلك الجندي يستقبل الموت في نسف ممر تذهب نفسهُ معهُ اشلاء واوصالاً ليحيي امته ويدفع عنها عدوها

نلمح ذلك المعنى السامي في نفس سعد من قبل يوم خيّروه بين امرين احلاهما مرّ .

فاما ان يدافع عن مشروع القنال في مقابل ان يكون رأي الجمعية العمومية فيه قطعياً واما ان يأبى ذلك ويضيع ذلك الحق . فما تردد في ان يكسب امته ذلك الحق النيابي ، مستهدفاً للنقد الخاطىء والناقمون بدخائل الامور يعلمون علم اليقين ان سعداً بهذا الفناء في خدمة بلاده انالها اختصاصاً جديداً واقطع لها حقاً عزيزاً اصار رأيها فيه الامر قطعيًّا

سيداتي . سادتي : ما كانت عظمته وليدة السنين الاخيرة لكنها صحبته ناشئاً ، ولازمته شاباً وقارنته شيخاً جليلاً

من اظهر صفات تلك العظمة التي بدت مخائلها على سعد وهو طالب في الازهر

حبه للحرية الفكرية ونقمته على سالبها

كان سعد في حداثته ممتازاً بالفطرة السليمة له نفس حرة كريمة وذهن خصيب ، وهو بين اقوام يحافظون على تقاليدهم ويتوارثون طريقة تفكيرهم. كره سعد تلك الحالة فجمع اخواناً على شاكلته ، وطلب اليهم ان يعاونوه على نبذ تلك الطرق الدراسية الملتوية التي تفني الاعمار وتعوق النفوس عن كمالها . كتبوا تلك الدعوة في منشورات خطوها ورفعوها على اعمدة الازهر ليلاً فكانت أول صيحة فيه هتفت لحرية الرأي واحدثت ثورة فكرية هادئة ما كان لغير سعد الشاب العظيم ان يهيب بها ، لان الحكام قساة القلوب والعقاب قادح والناس اعتاد ما الفوا اعداء ما جهلوا

سيداتي وسادتي : لقد ادرك سعد مرارة الاسر في نفسه يوم سجنوه عقب الثورة واجدر بمن ذاق تلك المرارة ان يستشعرها في غيره ويستبشعها في الامم والشعوب ويجد للحرية في اعماق نفسه قداسة وحياطة ووقاية اشد ما يزعجه العدوان عليها ، وانتهاك حرمتها

وكنا ونحن محوطون برجال الحفظ في منفاه نلمح على سعد الالم الموهن والمرارة اللاذعة عند ما يعتلج في نفسه معنى الاسر فيتمثل تلك الحقيقة القاسية : سعد مأسور. سعد يتبعه جندي

سيداتي . سادتي : لقد صحبنا سعداً ، وشاركناهُ في حلوه ومره ، وبلغنا من نفسه منزلة الابناء ، وبلغ منا مرتبة الآباء . كان يتوسطنا ويسمع الينا ، ويصغي الى حججنا فيستجلي صوابها ، ويمضي الى لبابها ، كارهاً للمنطق المعقد والحديث المهوش لان لهُ ذهناً كالمرآة المصقولة ترتسم عليها الصور ناصعة جلية وترتد عنها القطع الداكنة المبهمة ، يحضرك ما غاب منك ، ويظهرك على ما خفي عنك ، ويتتبع البرهان الواهي فما قوَّيته واما تركته ، ثم لا يدعك الا مقتنعاً راضياً . وأشد ما يعجز به خصمه ان يتخذ من حجته دليلاً عليه ، وستاراً لرأيه . فشدد سعد عند مناقشة لورد ملنر في ان ينص على الغاء الحماية فقال لهُ اللورد لماذا هذا التمسك بالالفاظ والاستقلال نفسه منصوص عليه ، فبدههُ سعد : ولماذا لا تريحنا بنقط لا يضركم ولكنهُ ينفعنا . فانقطعت الحجة وانتهى الكلام

لقد كان سعد في رهبته وقوة عارضته ، لهُ قلب رحيم . ضنين على الخير ، فاختاره الله مجالاً للحب والرحمة ، والاشفاق ، والبر . يمرض الواحد منا او تم به نائبة فلا

والله ما الوالد الشفيق بأبرّ قلباً ولا احنى عاطفة امام وحيده من سعد امامنا يواسينا ويتعجل شفاءنا ويتعهد راحتنا ويفيض علينا احسانه العميم

تلك المودة والرحمة اكبرت عنده الحياة الزوجية وحاطها بالاجلال العظيم. ووجد من ام المصريين مصابرة على الشدائد. ومدافعة للخطوب ومشاركة في بأساء الحياة. فكانا معاً مثالاً أعلى لانبل العواطف، وصوراً للملائكة الاطهار

سيداتي. سادتي: تلك الملائكية التي تجلت في سعد أرتنا كيف كان يترفع عن النقائص، وينفر من الصغار، واذا كان في حقوق بلاده شديداً رائعاً، فهو في حقوقه الشخصية مسامحاً كريماً، فتى سكنت الفتن، وثاب الرشد، وتعرضت الشؤون العامة للاخطار رأيت في سعد العظمة المتطامنة تغضي وتخفض جناحها متوسعة بالفضل متطولة بالعفو، تنشد الضغائن وتنشر الائتلاف، نصرة للحرية، وعصمة للدستور

سيداتي. سادتي: لقد كانت الرقة القلبية، والعاطفة الرحيمة التي امتاز بها سعد من فضل الله الذي يسبغهُ على افذاذ الرجال وقادة الامم، ثم يمدهم بالايمان العميق، فيدركون من قدرة الله اعمها واشملها ويسلمون النفس في الشدائد لله الواحد القهار. فما رأيت سعداً الا وجلال الايمان يلوح على وجهه واسرار الطمأنينة تبدو في كل مظاهره

سيداتي سادتي: تلك اثارة حضرتني من بوارع سعد والفكر مشرّد، واللب حائر، والنفس تنوء بالتبعات، اتقدم بها حضرات الخطباء والشعراء، ثم ادع لهم مجالاً هم احق به، واهل لهُ

يا سعد

لقد عشت لخير الانسانية وندبك الوطن لاشرف غاياته فافنيت في طلب الكمال حياة ما كان اطيبها واغلاها، وازلتك امتك منزلة ما تطلعت لمنزلة سواها واحاطت بك في اشد الازمات فصدفت عنها عيوفاً كريماً، وقلتها كلمة خالدة رافعة «لا ابغي باستقلال بلادي بديلا»

يا سعد!

لقد شهرك ربك بفضلك وأسبغ على ذكراك رداء مجدك، فهنيئاً لمن كان الله ناشر فضله، وناسج مجده

اللهم رب سعد الثاوي في رحمتك، النازل في جنتك، ادخل عليه روحاً منك وسلاماً منا

سعد زغلول

نشأته الاولى — الازهر وأثره في تكوينه

[طلبنا الى حضرة النائب المحترم الاستاذ صبري بك ابو علم ان يكتب للمقتطف بحثاً تاريخيًّا في سيرة الراحل الكريم المغفور لهُ سعد زغلول باشا . فلبى الطلب مع كثرة المهام وللحال انصرف الى البحث والتنقيب في مجموعات الصحف التي كانت تصدر قبل الثورة العرابية وبعدها ليستخرج منها سيرة الراحل الكريم في ذلك الزمان. ثم عارض ذلك بما قالهُ سعد باشا في خطبهِ وبما قالهُ مختلف الكتّاب من عرب وافرنج فيهِ . فجاءت رسالة الاستاذ صبري بك كما يبلغ ما يكتبهُ الكتّاب الفريدون في سير عظمائهم جامعة بين تحقيق في البحث وانصاف في الحكم وبلاغة في التعبير وسهولة في تسلسل الكلام وسياقهِ . وقد اختصَّ النبذة الاولى بحداثة الفقيد العظيم ونشأتهِ وما كان للازهر الشريف وللمرحوم الاستاذ الامام والسيد جمال الدين الافغاني واديب بك اسحق وغيرهم من اثر في تكوين آرائهِ ومعتقداتهِ وطريقتهِ في الكتابة والخطابة]

—١—

قليل هم الرجال الذين يجعلون من انفسهم ما اعدتهم لهُ الطبيعة . ويصبحون من بلادهم المركز الذي تدور حوله . والعالم الذي تستظل بهِ . ولقد ظلت مصر أجيالاً تعمل لتكوين سعد . وما كاد ينضج ويخرج للعالم . حتى رأى فيهِ رجلاً علم الخصوم والاصدقاء كيف يحترمونهُ . وعرف فيهِ الذين كانوا يناضلونهُ خصماً شريفاً ، نزيهاً ، جريئاً . يضرب خصمهُ الضربات الشديدة ويتحمل مثلها . رجلاً ظل في مصر الى ان اختارهُ الله لجوارهِ . القوة المحركة ، الدافعة ، المانعة ، المرشدة لشعبه في مدلهم الحوادث والخطوب ، والملهمة لمصر بالحكمة حيناً وبالاقدام أحياناً . رجلاً تقاضت عظمتهُ الصحافة الانجليزية وكبار ساسة الانجليز ضريبة الاجلال والاحترام ؛ فنثروا على نعشه زهور الرثاء والتقدير . واعترفوا بأنهُ كان أصلب خصم اعترض المصالح البريطانية مراساً . واشدهم عناداً . واعظمهم خطراً . رجلاً ظل كما قالت التيمس «يواصل سعيه وجهاده حتى فاز بحمل الدولة التي استقرت في مصر اربعين عاماً . على أن تعترف لمصر بالاستقلال الذي اضاعتهُ من الفين وخمسمائة عام » . رجلاً تقدم الى

قبره زعيم العمال ورئيس حكومتهم الاولى من يُمر بتحية الوداع فقال: «كان زغلول اكثر من زعيم حزب فهو روح المصريين . وموته يخرج من ميدان السياسة المصرية شيئاً أكبر من رجل » . رجلا « شغل الحياة المصرية عامة . واجتمع فيه تاريخ مصر الحديث وانتهت اليه نهضتها الكبرى » كما قال دولة ثروت باشا وهو يؤبنهُ

انه رجل أصبح ملك الخلود والتاريخ . ولكن هل حان الوقت لكتابة تاريخ سعد . وسعد قد ظلَّ نيفاً وخمسين عاماً يتنقل بين مراحل نهضة مصر الحديثة ويسيّرها . ويتشبث في بيئاتها المختلفة . رافعاً علم التقدم والاصلاح . فطوراً نراهُ في الازهر ومعاهده طالباً نابغاً ثائراً . وطوراً نراهُ في الصحف الرسمية وغيرها كاتباً . أديباً . ناقداً . فاذا به في افق المحاماة نجماً طالعاً . ثم في كرسي القضاء بدراً ساطعاً . ففي دست الوزارة وزيراً مجدداً ، عاملاً ، مستقل الرأي . ثم يدخل الجمعية التشريعية ثائراً جريئاً . وزعيماً للمعارضة وخطيباً يرسل الصواعق فيزلزل اقدام الوزراء . ويسير الجمعية من روحه نفوذاً فتخطى به كل حد رسمهُ لها واضعو قانونها النظامي . واخيراً يصعد آخر درجات الحياة سلّماً خفاقاً على رأس الامة والحكومة والبرلمان . تجتمع فيه الرياسات . يدين لهُ الزعماء بالزعامة . ويدين لهُ الشعب بالاخلاص . وينطوي لهُ العالم على الاجلال والاحترام : يتحدث فتهتزُّ الابطال . ويتحرك فيخفق البرق . ويتكلم فينصت الدهر . ويخطب فينفث السحر

هل حان الوقت لكتابة حياة سعد ودموعنا لما تجف . ونار آلامنا بفقده لا تزال متقدة تحت رماد التجلد والصبر؟ هل حان الوقت لتدوين حياته ولا يزال الجانب الاعظم من أعماله مستوراً عن أعين الكثيرين ؟ ولا يزال في صدور معاصريه واصدقائه أسرار لم تلتقطها اذن التاريخ ؟ ومن ذا الذي يتقدم لتحليل تلك الشخصية دون أن يرجع الى مذكرات سعد ومذكراتهُ كما يعلم الذين اسعدهم الحظ بسماع شيء منها ، وثائق تاريخية ثمينة ، تلقي النور على كثير من الحوادث والرجال . ولم تجر العادة ان تنشر مذكرات العظماء الا بعد مضي زمن تسكن فيه زوابع الخصومات ، حتى لا يسبب نشرها ألماً موجعاً لمن تناولتهم بالنقد أو التحليل . ويكفي ان نعلم ان نشر مذكرات السر هنري ولسون رئيس اركان حرب الامبراطورية البريطانية في الشهر الاخير قد اثار من الخصومات والمجادلات العنيفة ، فتطايرمنها شرر اصاب كثيرين من رجال السياسة الاحياء فأقضَّ مضاجعهم . وازعجهم . حتى اثرى المستر لويد جورج للردعليها وتفنيدها

على انهُ لا يصح ان يفهم من هذا اننا يجب ان نظل ساكتين حتى يطوي الموت اعمار الذين في صدورهم اسرار . أو في ذاكرتهم اخبار ممن التقوا مع سعد في سبيل، خصوصاً شرفاء . او اصدقاء اوفياء . دون أن يلقوا الى التاريخ بذات صدورهم . وودائع سرائرهم. فان مضيَّ الوقت الطويل من شأنهِ ان يضيع الوان الحوادث فيتلاشى بهاؤها وتذبل ذاكرة الناس ويقل اهتمامهم . فكأننا نقيم لانفسنا دون الحقائق سدًّا

فليتقدم من الآن المتقدمون يمهدون المؤرخ فيجمعون آثار سعد وينقبون عن نشأتهِ الاولى . ويكشفون الغطاء عن كل ما اتصل بهِ من اعمال ، او صدر عنهُ من اقوال. حتى تتوافر بذلك للمؤرخ المواد التي يكوّن منها سفراً جليلا يليق بسعد وعظمتهِ. واولى الناس بذلك هم الذين تفسوا معهُ هواء الحوادث التي خاض غمارها . وعرفوا عن قرب المعضلات التي واجهتهُ . وكيف كان يستقبلها . وكيف كان يذللها. وبأي الادوات كان يشتغل . بلا خشية من غلو او إغراق او تحيُّز. فما كانت عظمة سعد تحتاج الى محام اومدافع . فتقد كان لسعد من الشجاعة ما يكفي للاعتراف بالخطإ متى ظهر لهُ. ولهُ من عظمتهِ ما يحتمل ذكر غلطاتهِ بحيث لا ينقص ذكرها من عظمتهِ شيئاً . بل يكملها ويتمها

***

لا نتقدم بهذا تمهيداً لكتابة سيرة الفقيد العظيم فغاية ما نطمع فيهِ ان نرسم لهُ صورة قوامها ما انطبع في نفوسنا واستقرَّ فيها من آثار تلك الشخصية التي قلَّ في التاريخ مثالها . وعزَّ في الشرق منالها . مقدمين قبل ذلك بعض ما اجتمع لنا في هذه الفترة القصيرة من اخبار نشأتهِ الاولى

نشأته الاولى

ان الذي نعلمهُ عن نشأة سعد الاولى لا يشفي غليلاً ولا يروي نفوسنا المتطلعة وانَّ اقصى ما نتمناه على الباحثين والمؤرخين ان لا يشغلهم مجد سعد في شيخوختهِ عن ان يلقوا النور على سعد في شبابهِ . فالرجل العظيم ليس ابن الحوادث ولا تطفر بهِ الزمن طفرة . بل ينشأ عظيماً تلمس عظمتهُ في مختلف ادوار حياتهِ . خصوصاً اذا كان للاخلاق الجانب الاكبر في تكوين عظمتهِ

اما سنة مولدهِ فقد اختلف فيها الناس اختلافاً كبيراً غير اننا رجحنا في تحقيقها الى ما قررهُ الفقيد في خطبهِ واقوالهِ . فقد روى ضمن خطبة لهُ في ١٥ ابريل سنة ١٩٢١

انهُ وقت بدء اشتغاله بالمحاماة كان عمره اثنين وعشرين سنة ومن المتفق عليه انهُ اشتغل بالمحاماة في سنة ١٨٨٣ . لذلك كان اقرب الاقوال الى الصحة عن تاريخ ميلاده ماقيل من انهُ ولد في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٥٩

ولقد ولد في ابيانة من اعمال مركز قوة بمديرية القربية وخرج من صلب الامة المصرية ومن صميم الفلاحين . خطب مرة فقال : « لم اكن اميراً فيكم ... ولا انا من بيت كبير . بل انا فلاح ابن فلاح من بيت صغير يقول عليه خصومنا انهُ حقير . ونعمت الحقارة هذه » . على انهُ اذا علمت ان اخاهُ الشناوي افندي زغلول كان في ذلك الوقت رئيساً لمجلس مركز دسوق وان سعداً عند ما قدم القاهرة للالتحاق بالازهر استحضر معهُ طاهياً خاصًّا كما يقرر زملاؤهُ بالازهر علمت من اي اصل نبت سعد ومن اي بيت خرج

اذن جاء سعد كما قالت اليمس « من سلالة ذلك العنصر القديم الذي اتخذ اللغة العربية وعقيدة العرب الفاتحين منذ قرون . ولكنهُ على الرغم من الغارات الاجنبية والامتزاج بالاجناس الاخرى قد استوعب جميع النازلين بارض مصر واحتفظ بملامح اسلافه وبكثير من السمات التي ثبتت لهم قبل غارة الفرس على وادي النيل . وكانَّ منشأهُ هذا قد اولاهُ ادراكاً لطيفة قومهِ بنقص الساسة الآخرين وجاءت غرابة ظهوره نفسها وعدم توقعها فكانت من الاسباب التي ساعدتهُ على الظهور . وكانت سيرتهُ الحية مصداقاً للمثل اللاتيني ان افريقيا تأتي بشيء غير مألوف فانها نقضت الرأي الذي كان سائداً عند المماليك والترك وهو ان الزعامة السياسية والادارية لا يظهر لها اثر بين عنصر الفلاحين »

وتعلم سعد مبادىء القراءة والكتابة في مكتب القرية . وظل بهِ خمس سنين ثم شخص الى دسوق يطلب العلم بالجامع الدسوقي . وقد جوَّد القرآن على الشيخ عبدالله عبد العظيم وبين جدران ذلك المعهد عرف لسانهُ من القرآن حلاوة الفصاحة والطبع بأول طابع للبلاغة . وفيهِ تدرب لسانهُ الزلق المفوَّه على اخراج الكلام من مخارجهِ تام الصوت والجرس محكم النبرات

ولم يلبث بالجامع الدسوقي الا قليلاً ثم ارتحل الى القاهرة يقصد معهداً اوسع رحاباً واعظم شهرة واكثر علماء . التحق سعد بالجامع الازهر وظل فيهِ خمس سنين تلقى فيهِ العلم على كبار شيوخهِ في ذلك العهد . فتلقى على الاستاذ الامام « القطب على

الشمسية وبعض كتب التوحيد » وتعرف بكبار العقول في ذلك الوقت امثال الشيخ عبد الكريم سلمان والشيخ الباجوري

وصل سعد الى القاهرة حوالي سنة ١٨٧١ في الوقت الذي كانت مصر تستقبل فيه حركة فكرية قوية وتمخض الايام والحوادث فيها عن تكوين رأي عام قوي . فان جمال الدين الافغاني بعد ان أقام بمصر اربعين يوماً سنة ١٨٦٩ تعرف خلالها بكثير من علماء مصر واعلامها ، عاد الى الاستانة سنة ١٨٧٠ ثم الزمته دسائس الرجعية هناك بالعودة الى مصر فوصلها سنة ١٨٧١ واخذ يبث تعاليمه ويلقي بذوره في ارض صالحة مهيأة لتلقيها . أخذ يشرح آراءه في الاصلاح الديني وتخليص العقول من ربقة الجمود . ويشرح النظام الدستوري ومبادىء الاسلام في الشورى . وبث في النفوس روح الاستقلال والتخلص من تحكم الاجانب في الشرق وشعوبه . ولقي في هذا السبيل كل تشجيع من الشعب الذي اقبل عليه خاصته كل الاقبال ومن الحكومة التي ربطت له راتباً شهرياً قدره مائة وعشرون جنيهاً دون ان تأخذ عليه اي عهد . وصرحت له بالقاء محاضراته في الجامع الازهر وظل يدرس فيه حتى اختلف مع الشيخ عليش فنصح له الخديوي اسماعيل بالقاء في داره حيث كان يختلف اليه تلاميذه ومع صفوة شباب ذلك العصر وكبار الموظفين فاستمر يمرنهم على الكتابة والبحث ويدفعهم بروحه الثورية الى القضاء على سلطة الفرد والتمكين للنظام الدستوري في البلاد ، مستنداً في تعاليمه الدستورية الى ما جاء به الدين الاسلامي والى ما سنه الخلفاء الاولون من القدوة الصالحة في احترام الانظمة الشورية . وتقوية الروح الديمقراطية

ولم يكن جمال الدين رجل كلام فقط ولكنه نزل الى ميدان العمل مرشداً لتلاميذه فأسس هو وأديب اسحق في اول يوليه سنة ١٨٧٧ جريدة مصر وخرج جمال الدين من عزلته وصار يكتب فيها الفصول هو وتلاميذه واسس سليم نقاش بعد ذلك بمجموعة جريدتي المحروسة والعصر الجديد . وأصدر صديقه ابراهيم اللقاني سنة ١٨٧٩ جريدة مرآة الشرق

اثر الازهر في تكوين سعد

في هذا الجو الصالح لتربية النفوس والارواح أقبل سعد على القاهرة واتصل بالشيخ محمد عبده طالباً بالازهر . واصبح من مريدي جمال الدين وتلاميذه .

وتعرف بالشيخ عبد الكريم سلمان . وابراهيم النقاش . وشفيق بك منصور . وعلي بك فخري . والبارودي . وأديب اسحق . وكان يكتب الفصول والمقالات في جريدة مصر ونشرت لهُ جرائد المحروسة والبرهان والتجارة مقالات كثيرة . وكان كثير الاعجاب بأديب اسحق . وكثيراً ما سمعناهُ يثني عليهِ وعلى طريقتهِ في الخطابة

فبين جدران الازهر تكوّن سعد أول تكوين . وفي جوانب ذلك المعهد الديني الكبير . وبين جدران ذلك الجامع التاريخي الشهير . بدأت نفس سعد تظهر حرّة كريمة ابية . نافرة من الجمود في غير حركة . والسكون في غير بركة

خطب يوم الجمعة في ٨ ابريل سنة ١٩٢١ عقب عودتهِ الشهيرة من اوربا في الجامع الازهر فقال « جئت اليوم لأؤدي في هذا المكان الشريف فرض صلاة الجمعة . لاقدم واجبات الاحترام لمكان نشأتُ فيهِ . وكان لهُ فضل كبير في النهضة الحاضرة . تلقيت فيهِ مبادىء الاستقلال لان طريقتهُ في التعليم تربي ملكتهُ في النفوس . فالتلميذ يختار شيخه . والاستاذ يتأهل للتدريس بشهادة من التلاميذ الذين كانوا يلتفون حول كل نابغ فيهِ . ومتأهل لهُ يوجه كل منهم اليهِ الاسئلة التي يراها فان اجاب الاستاذ وخرج التلميذ ناجحاً من هذا الامتحان كان اهلاً لأن يجلس مجلس التدريس . وهذه الطريقة في الاستقلال التي تسمى الآن خللاً في النظام جعلتني أتحول من مالكي الى شافعي حيث وجدت علماء الشافعية في ذلك الوقت أكفأ من غيرهم »

لم يكن سعد بالطالب المسكين الخامل . ولكنهُ كان يوازن بين الاساتذة ويفاضل بين المذاهب وينقد طريقة تدريس كل مدرس . ويثور ضد ما يغضبهُ من الانظمة . حدث انهُ جمع اخوانهُ الذين توثقت بينه وبينهم الروابط . وطلب منهم ان يعاونوهُ على اصلاح نظام الازهر في بعض الشؤون . فكتبوا المنشورات وعلقوها على اعمدة الازهر ليلاً فكانت اول صيحة احدثت ثورة صالحة فيهِ

ولقد كان لهذه النشأة الدينية الصالحة اثرها في تكوين جانب من عقلية سعد احس بهِ الذين خالطوهُ ايام الشدائد والخطوب . فقد كان عظيم الثقة بالله مخلصاً لهُ في السر والعلانية . تتجهم الحوادث . وتشتد الليالي . ويتلبد الجو . وهو في مقعده يبسم لها ابتسامة الواثق بانها عارض وينقشع . وسحابة وتولي . كأنه يتلمس يد العناية في كل خطوة . وكثيراً ما سمعناهُ يقول « ان هذه الحركة من صنع الله . وهو الذي يتولاها بعنايتهِ . ويتعهدها بلطفهِ » . وخطب مرة فقال « ولكن الله سبحانهُ وتعالى وهو

صاحب هذه الحركة . وباعث هذه الروح في انفسكم جميعاً يحميكم من كيدهم . ولن يفلح قصدهم وقد حكم عليهم بالخيبة الى يوم الدين »

وخطب مرة في احد الوفود فقال « لقد عودنا الله الاخذ بيدنا . وتعهدنا في الشدائد بحسن رعايته . وكلما اشتد الامر . اقتربنا من هذه الغاية . فعلينا ان نتمسك بحقوقنا . وان نتحمل الشدائد بالجأش الرابط . والصبر الجميل . والله ولي الصابرين »

فكان يخيل اليك وانت تسمعهُ انهُ يتراءى في احضان القضاء والقدر ويعتمد عليهما . وينتظر ما يخرجان لهُ كل يوم من اعاجيب . ولكنهُ كان يجمع الى الثقة بالله والاعتماد عليهِ الثقة بنفسهِ . وكان يجمع الى الاعتماد على نجمهِ الطالع ، اليقين بأمتهِ . فكان كثيراً ما يتقدم الحوادث بعلمهِ ورأيهِ . ويسيطر عليها ويسيّرها . ولا يخضع لها . ويتقدم واثقاً من الفوز كأنهُ في يدهِ . ضامناً للنتيجة كأنهُ اخذ عند التوفيق عهداً

أليس هو القائل عن امتهِ « ان الامم متى صحت إرادتها . وانعقدت عزيمتها . تغلبت على كل صعب . وابطلت كل تدبير . وقهرت كل غادر . ولم يحل بينها وبين ما تريد عقبة مهما قويت . ولا حيلة مهما اتسعت »

تلك كانت آثار تعاليم الازهر الدينية في نفسهِ . وقوة اختلاطها بروحهِ . فانظر الآن اثر تعاليم جمال الدين فيهِ

اثر جمال الدين

لقد كان جمال الدين الافغاني من جبابرة العقول في الشرق . وكانت شخصيتهُ من القوة بحيث تسيطر على النفوس والعقول والارواح . فبين يدي ذلك الفيلسوف العظيم وفي احضان فلسفتهِ الثائرة على الجمود في الدين . والاستبداد . وظلم الشعوب . شبَّ سعد وترعرع ونما

كانت البذرة قوية . وكانت التربة صالحة . فانبتت نباتاً قويًّا . كان جمال الدين متعمقاً في البحث . غوَّاصاً على المعاني . قوي تيار الجدل . متين الحجة . مبين الاسلوب . وكان يرمي الى غايتين : الاصلاح الديني وقد خلفهُ فيهِ الشيخ محمد عبده ، وفي الاصلاح السياسي وقد خلفهُ فيهِ سعد زغلول وعقد لكل منهما لواء الزعامة في بابهِ

ولقد ظهرت آثار جمال الدين في سعد في طريقة كتابتهِ . وفي المنحى الذي اتجاهُ في البحث شابًّا . انظر اليهِ تراهُ يخلو الى نفسهِ ولما يبلغ الثامنة عشرة فيطالع

كتاب ابن مسكويه في فلسفة الاخلاق ويلخصهُ ويطبعهُ. وانظر اليه حين اكمل العقد الثاني من حياته وقد تعين سنة ١٨٨١ محرراً في القسم الادبي في الوقائع المصرية ورئيسهُ فيها اذ ذاك الشيخ محمد عبده تراهُ يكتب مقالات في الشورى والاستبداد . والوهم . والبخل . وكلها تنم على غزير علم . وقوة جدل لم يعرفها العهد القديم . وأدب كتابة لم يكن للكتاب به عهد من قبل . وجرأة في القول ماكان لغير تلميذ جمال الدين ان يبلغ اليها

وكانت احكام المجالس الملغاة تُنشر في ذلك الوقت بالوقائع المصرية . فبعد ان كان عمله بها قاصراً على مراجعة المقالات والتنبيه على مواقع الخطإ فيها . عهدَ اليه في امر نقد تلك الاحكام وتلخيص معانيها . فقام بهذا العمل على اكمل وجه واتمهِ . ومن وقتها تربت في سعد ملكة الجدل القضائي . وتحركت في نفسه عوامل الدفاع عن الظلم لما ظهر له في تلك الاحكام من عيوب ونقائص ضاعت بها حقوق الناس او ضعف في حجتهم . او عجز عن ايضاح حقهم . او سوء فهم من اعضاء مجالس الاحكام او ميلهم عن جادة الحق لانعدام الاشراف على عملهم من جانب الدفاع

كل هذا مضافاً اليه ما وهبهُ سعد من فصاحة تخلب الالباب . وبلاغة تسحر العقول وقوة جدل تسد على خصمهِ كل منفذ وبديهة حاضرة تليه ان ناداها وقوة حجة وذاكرة عجيبة لازمتهُ حتى الوفاة . وذهن مرتب وخيال خصب حرّك نفسهُ الى معالجة المحاماة فيما بعد

قال في خطبة لهُ القاها في الحفلة التي اقيمت لهُ عندما اختير لمنصب القضاء «والذي حبّب اليَّ الاشتغال بهذه الصناعة اني كنت مشتغلاً من قبلها بوظيفة من شأنها الاطلاع على احكام المحاكم الملغاة التي كانت تنشر في الجريدة الرسمية يوم كنت عضواً في هيئة تحريرها . وكان من حظي ان عُهد اليَّ في امر نقد تلك الاحكام وتلخيص معانيها ثم انتقلت من هذه الوظيفة الى وظيفة ناظر قلم قضايا مديرية الجيزة وهي كما تعلمون اشبهُ بوظيفة القاضي اذ كان من خصائصها ان يصدر الاحكام في كثير من المواد الجزئية»

على انهُ يظهر ان سعداً تمرّن مأموناً في الداخلية قبل تعيينهِ ناظراً لقلم قضايا الجيزة وكان ذلك في سنة ١٨٨٢ ولم تطل مدتهُ في هذه الوظيفة الاخيرة غير بضعة اسابيع حتى قامت الثورة العرابية

صبري ابو علم

الجزء الاول من المقتطف

بعد الدكتور صروف

صدر الجزء السابق من « المقتطف » بعد وفاة الدكتور صرُّوف بنحو ثلاثة اسابيع . صدر مخططاً بالسواد حداداً عليهِ . وأُفردَت صفحات من ذلك الجزء لتلخيص تَرجمة حياتهِ وتأبينهِ والتحدُّث عنهُ . على ان بقية الصحائف كانت مستمدةً من وجوده ، طافحةً بنفثات قلمهِ ، ناشرةً آثار جدّهِ واجتهادهِ

وهذا الجزء هو الاوَّل بعدهُ ، الاول من مرحلةٍ جديدة ستجيء خالية من نفثات قلمهِ وثمرات بحثهِ وعلمهِ . . . كالخيال مرَّت تلك الشخصية الكبيرة العاملة في هدوء ورزانة ، المنعكسة في مرآة هذه الفصول وهذه المجلدات خمسين عاماً متوالية بلا توانٍ ولا انقطاع

ان صورة الخيال في المرآة صورة قديمة مألوفة . ولكنها كبعض الاستعارات الفريدة التي اهتدى اليها الاقدمون ، كلٌّ من ناحيته ، في اكثر اللغات — بيئة صحيحة لا يستعاض عنها بغيرها لتمثيل الحياة الفردية الزائلة . وكلما جرت على يراعةٍ بشرية أو خطرت في فكر بشريٍّ برزت كأنها بنت ساعتها وباكورة مبدعها

ذلك لانَّ من الاسماء والمسميات والاستعارات ما هو بعيد الغور بمعناهُ وبمدخرهِ يقتضي استفهامهُ واكتناهه كلما ورد لنا ، حتى ولو تكرَّر ذلك التوارد كلَّ يوم مرات وعرفنا تلك الكلمات والتشبيهات منذ أقصى عهد الطفولة

وفي مقدمة تلك الاوضاع فكرة الموت وما يكنى بها عنهُ . الموت الجمّ الالتاز ، الغزير الاسرار . . . الذي نزعمُ انهُ خيالٌ في مرآة الحياة في حين ان الآجال خيالات في مرآته . . .

***

تكاثر التساؤل بعد وفاة الدكتور صروف عن معتقده الديني عموماً ، وبوجهٍ أخص عن رأيهِ في العالم الآخر . ووجَّه بعضهم طائفة من الاسئلة إليَّ ، وهم مرتابون في ان يكون لديهِ رأيٌ من هذا النوع . بل كانوا يميلون الى ان هذا العالم الرياضي الشوقي كان يقصر همهُ على ما يقعُ تحت الحسِّ ، ولا يذهبُ بيقينهِ الى عالم الغيب ، هذا إنْ لم يكن من جاحديهِ على الاطلاق

وجواباً على هذا أقول ان عالمنا العظيم كان يعتقد بوجود عالم آخر وكان شديد التشوّق إلى ولوجهِ من باب الموت . وقد ابدى هذا التشوق مرات عديدة امام محادثيهِ وأقرانهِ في العلم والادراك ، وبسطهُ في بعض رسائلهِ الخصوصية ، كما ألمع اليهِ بلهجات مختلفة خلال أبحاثهِ في « المقتطف »

وهاك شيئاً من ذلك في أحد خطاباتهِ الخصوصية :

« ولا ادري لماذا لا نقنع انفسنا ان الدار الدنيا مرحلة من مراحل الابدية . اننا نجهل ماضينا تمام الجهل ولا نعرف مستقبلنا معرفة يقينية . ولكننا نود ان تبقى عقولنا وان ندرك بها ما نعجز عن ادراكه هنا من غوامض هذا الكون . انا اتوق الى ذلك وامني به نفسي كل يوم وكلما وجدت في بحثي مشكلاً يتعذر عليَّ حله

« مرضت مرة بالتيفوئيد وقطع الرجاء مني ولما علمت ذلك فرحت عني وتجردت عن الدنيا بعد ان ودعت زوجتي الوداع الاخير ورتبت امر معيشتها ومعيشة اولادي . وصرت اتوقع الانتقال ساعة بعد ساعة وانا اتوق اليه . ولم يخطر ببالي الا انني سأتمكن من معرفة ما وراء الغيب ومن حل ما اشكل عليَّ في هذه الدنيا . ولو عاش الناس كلهم في هذه الدنيا منتظرين الاخرى لانتقى اكثر ما فيها من الشرور والآلام وانكسرت شوكة الموت »

هذا رأيه في الموت من اغمض نواحيهِ . اما هذا « المقتطف » الذي كان شغلهُ الشاغل مدة نصف قرن ، فكثيراً ما كان يفكّر في ما سيصيرُ اليهِ بعدهُ كما يتساءل احياناً عن حكم الاجيال التالية فيهِ

وهذه جملة في هذا الباب وردت في رسالة خصوصية :

« لا ادري ما يكون حكم الاجيال المقبلة على العمل الذي قمت به . أينظرون اليهِ بالعين التي تنظرين اليه بها فيغتفرون زلاته أو لا يرونها ويشيدون بحسناته او يطرحونه في زوايا النسيان . ان عاشت العربية فالراجح عندي انه يقوم اناس منصفون يغتفرون العيوب ويقولون انني فعلت ما ينتظر مني كله أو أكثره »

***

واجب نشر هذين الرأيين من آرائهِ في الجزء الاول بعده . ومرجوّي ان يتاح لي ان اقدّم بعدئذ صورة حية صادقة ، بلا غلوّ ولا انتقاص من الدكتور صرُّوف

ولا حاجة في تصويرها الى غير ما خطته يده في ابحاثه ورسائله

لنقدر عمل صروف يجب ان نتقلب عائدين الى الوقت الذي انشأ ينشر فيه العلوم الرياضية والطبيعية والتاريخية منذ خمسين عاماً ، يوم كانت العلوم في مجموعها بيننا كلامية بيانية لا بحث فيها ولا تحقيق ولا تمحيص . ولنقدر عمله يجب ان نذكر انه كان يكتب أبداً بانشاء الايجاز والاحكام ، دون التغاضي عن لفظة واحدة الا في تحتمها لاتمام الموضوع أو لجلاء المعنى . وذلك يوم كان الانشاء كله استعارات ومغالاة وإعجاز في البيان والبديع

فكانت هذه البذور الحيَّة النفيسة التي تتلقاها اليوم من يده ومن مجموعة « المقتطف » في عهده . ونحن ننظر إلى مستقبلها بين الثقة والرجاء لان صاحبها هو الذي اختار من يكون أميناً عليها ، عاملاً على استغلالها وإنمائها والتصرف فيها والسير بها في طريق فتحه مجدها القديم ، واوسعت فيه احكام التطوُّر والحياة المتجددة

***

هذه كلمات تحتم إرسالها في هذا الجزء من « المقتطف » بعد الدكتور صروف وقد حاولت ان أحبرها بصفاء ذهن وتغلب على العاطفة ، إذ لا يجدر التحدث عن هذه الشخصية العلمية إلا بهدوء وتبصر

ولكني في الختام لا يسعني إلا ان اذكر انّ بين الجزء السالف وهذا الجزء انفتح هناك في مصر القديمة قبرٌ أودعناه عزيزاً . ولا يسعني إلا ان اقرر انّ هذا شهر نوفمبر ، شهر الموتى ، شهر الذكرى للراحلين

لا يسعني إلا ان اذكر ان بيت الدكتور صروف خلا منه ، وان تلك السيدة النابهة ، قرينته المتسربلة بالوقار والكمال ، وان ابناءه واخوانه واصحابه ما أداروا الطرف إلى مكانه الفارغ إلا ليبحثوا عنه وهم قانعون في حزنهم — انه ليس فيه

لا يسعني إلا ان اذكر انه كان الصديق العاقل الوديع الطيب العطوف ، في هذه الحياة التي كثر عندها اسم الصداقة وندر معناها الصميم

أذكر انه لن يأتي بعد إلينا بالجسد فلم يبق لنا الا محاولة المضيّ اليه بالاذكار

اذكر اننا لن نرى بعد وجهه الصالح الباسم ، ولن نرغد بعد بوجوده المحسوس ومظاهر عطفه فتنقلب هؤلاء الناس الضعفاء الذين تختفهم الغيرات ... « ي »

عين ترى تحت ستار الظلام

الرؤية في الليل NOCTOVISION

اذا وقع خطٌّ من نور الشمس على موشور زجاجي ونفذ منهُ ظهر بعد نفوذه في سبعة ألوان مرصوفة الواحد فوق الآخر أسفلها الاحمر وفوقهُ البرتقالي فالاصفر فالاخضر فالازرق فالنيلي فالبنفسجي . أي ان نور الشمس يُحلَّلُ الى سبعة أنواع من الاشعة المختلفة وهي التي ترى في قوس قزح من انحلال نور الشمس بنقط المطر. ويظهر لدى التحقيق أنَّ نور الشمس لا ينحلُّ الى هذه الاشعة السبعة فقط بل الى غيرها مما لا يرى بالعين بعضها تحت الاشعة الحمراء وبعضها فوق الاشعة البنفسجية . فالاشعة التي تحت اللون الاحمر في الطيف الشمسي أشعة حرارة وهي لا ترى ولكن تشعر بها أعضاء الحسّ في الوجه والجلد عموماً وتعرف ايضاً بالاشعة المظلمة ومنها يتألف جانب كبير من القوة التي تحيينا من الشمس. أما الاشعة البنفسجية ففوقها أشعة قصيرة الامواج جداً لا ترى تعرف بالاشعة التي فوق البنفسجي أو الاشعة الكيماوية ويعرف فعلها بما لها من الاثر في ألواح الفوتغراف مثلاً

فعين الانسان تتأثر بالاشعة التي تتراوح بين اللون الاحمر من الطيف الشمسي واللون البنفسجي فاذا انعكست هذه الاشعة مفردة أو مجموعة عن شبح من الاشباح تأثرت العين وأبصرت ذلك الشبح . على أن عين الانسان لا تتأثر بالاشعة التي تحت الاحمر أو فوق البنفسجي فاذا انعكس أحد هذه الاشعة عن شبح من الاشباح دون غيرها من اشعة الطيف الشمسي لم تستطع عين الانسان أن تتبين ذلك الشبح. على أن المستنبط الانكليزي جون بايرد استنبط عيناً كهربائية تستطيع أن تتبين الاشياء في الظلام لانها تتأثر بالاشعة المظلمة أي الاشعة التي تحت الاحمر وهو من غرائب الاستنباط في هذا العصر . وقد دعى هذا الفعل نوكتوفيزيون Noctovision او الرؤية في الليل ولا بدّ ان يكون لهُ أثر كبير في الاعمال التجارية والحربية

من المعروف لدى قراء المقتطف أن المستر بايرد هو المستنبط الانكليزي الشاب الذي ابتكر طريقة للرؤية عن بُعد يستطيع أن يرى بها الاجسام والاشخاص عن بُعد كما هي ، فيراها ثابتة اذا كانت ثابتة ومتحركة ان كانت متحركة وهي طريقة تختلف اختلافاً بيّناً عن نقل الصور الفوتغرافية الذي أصبح أمراً مطروقاً في

صحافة أوربا وأميركا . وهي تنقل المرئيات باستعمال النور المنعكس عنها

اما في الآلة الجديدة فتجمع الاشعة التي تحت الاحمر وتوجهها كما توجه أشعة النور من مصباح كشاف الى البقعة التي يراد رؤية ما يجري فيها في الظلام فتنعكس عن الاجسام التي فيها فتأثر العين الكهربائية بالاشعة المنعكسة وتنقل صور المرئيات الى الجهاز المستقبل وهو كالجهاز المستقبل في آلة الرؤية عن بعد فترى على لوحته صور المرئيات كأنها ستار للصور المتحركة

وفسّر المستر بايرد الى هذا الاستنباط البديع وهو عاكف على اتقان آلة الرؤية عن بُعد . ذلك ان آلة الرؤية عن بعد كانت تستدعي في بادئ الامر ان يكون الشخص الذي يُراد نقل حركاته وسكناته مغموراً بنور قوي لكي تتأثر الآلة المرسلة بالنور المنعكس عنهُ . رأى المستر بايرد بثاقب نظره ان نجاح هذا الاستنباط على وجه تجاري يستدعي ان يكون النور المنعكس عن الاشخاص أو الاشياء طبيعيًّا فوالى البحث والامتحان حتى فاز بذلك . ثم خطر لهُ ان اعتمادهُ في آلته ليس على عين بشرية لا تتأثر الاَّ بالاشعة التي بين الاحمر والبنفسجي بل هو يعتمد على عين كهربائية قد يكون في امكانها ان تتأثر بالاشعة التي تحت الاحمر أو بالاشعة التي فوق البنفسجي . فجرَّب تجاربهُ أولاً بالاشعة التي فوق البنفسجي ولكن ثبت لهُ عدم موافقتها لذلك لان لها فعلاً في الانسجة الحية يتلف خلاياها وهي فضلاً عن ذلك ضعيفة النفوذ لا تلبث أن يمتصها الهواء فيضعف فعلها . فحوّل اهتمامهُ الى البحث في الاشعة التي تحت الاحمر ففاز بضالته المنشودة وزد على ذلك أن تجاربهُ فيها أثبتت لهُ انهُ يستطيع الاكتفاء بها دون نور الشمس المنظور . ولما جرب تجاربهُ هذه أمام نفر من الخبيرين من الاسلحة البرية والبحرية والجوية في انكلترا طُلب اليهِ من قبل الحكومة ان يحفظ سرَّ آلته في طيّ الكتمان

وقد جرَّب آلتهُ هذه أمام طائفة من أعضاء المعهد الملكي بلاد الانكليز فكتب عنهُ السر الكسندر رسل في مجلة ناتشر مقالاً قال فيه « جرب المستر بايرد آلتهُ أمامي وأمام المستر كروكس فجلس أحدنا في الغرفة التي فيها الجهاز المرسل ومعهُ احد مساعدي المستر بايرد وكانت الغرفة مظلمة . وجلست أنا في الغرفة التي فيها الجهاز المستقبل وقد كانت في طبقة غير الطبقة التي فيها الغرفة الاولى فرأينا على لوح الجهاز المستقبل رأس المساعد وكل حركاته وسكناته . وكانت الصور التي رأيناها واضحة كل الوضوح فاستعمال هذه الاشعة (الحمراء) في آلة الرؤية عن بعد يمكننا من ان نرى ما يدور تحت ستار الظلام عن بُعد وهذا أمر لم يحقق قبلاً على ما أعلم »

فاذا الناس كلهم في ثيابي

نقلاً عن ديوان « الجداول »

سئمت نفسي الحياة مع الناس، وملّت حتى من الاحبابِ
وتمشّت فيها الملالة حتى ضجرت من طعامهم والشرابِ
ومن الكذب لابساً بردة الصدق، وهذا مسربلاً بالكذابِ
ومن القبح في نقاب جميل ومن الحسن تحت الف نقابِ
ومن العابدين كل اله ومن الكافرين بالاربابِ
ومن الواقفين كالانصابِ ومن الساجدين للانصابِ
ومن الراكبين خيل المعالي ومن الراكبين خيل التصابي
والالى يصنعون صمت الاقاعي والالى يهزجون هزج الذبابِ
صغرت حكمة الشيوخ لديها واستخفت بكل ما للشبابِ

***

قالت اخرج من المدينة للقفر ففيهِ النجاة من اوصابي
وليكُ الليلُ راهبي وشموعي الشهبُ، والارض كلها محرابي
وكتابي الفضاء أقرأ فيهِ سوَراً ما قرأتها في كتابِ
وصلاتي الذي تقول الرواقي وغنائي صوت الصبا في الذابِ
وكؤوسي الاوراق القت عليها — الشمس ذوب النضار عند الغيابِ
ورحيقي ما سال من مقلة الفجر على الشب كاللجين المذابِ
ولتكحّل يد المساء جفوني ولتعانق احلامهُ اهدابي

وليقبّلْ فم الصباح جبيني ولِيعطّرْ اريجهُ جلبابي
ولأكن كالغراب رزقي في الحقـ ـل وفي السفح مجثمي واضطرابي
ساعة في الخلاء خيرٌ من الأ عوام تقضى في القصر والاحقابِ

***

يا لنفسي فانها فتنتني بالحديث المنمَّق الخلاَّبِ
فاذا بي اقلي القصور وتركنا ها واهل القصور ذات القبابِ
فهجرت السران تنفض كفي عن ردائي غباره واهابي
وتركتُ الحمى وسرت وإياها وقد ذهَّب الاصيل الروابي
تهتدي بالضحى فان عسعس الليـ ـل جعلنا الدليل ضوء الشهابِ
وقضينا في الناب وقتاً جميلاً في جوار الندران والاعشابِ
تارة في ملاءة من شعاعٍ تارةً في ملاءةٍ من ضبابِ
تارة كالنسيم نمرح في الوا دي، وطوراً كالجدول المنسابِ
في سفوح الهضاب والظل فيها ومع الثور وهو فوق الهضابِ
انما نفسي التي ملّت العمرانـ ـ ملّت في الناب صمت الغابِ
فانا فيهِ مستقلٌ طليقٌ وكأني ادبٌ في سردابِ

***

علمتني الحياة في القفر اني اينما كنت ساكنٌ في الترابِ
وسأبقى ما دمت في قفص الصلصال عبد المنى اسير الرغابِ
خلت اني في القفر اصبحت وحدي فاذا الناس كلهم في ثيابي

نيويورك ايليا ابي ماضي

العلم للعامة

من مفاخر القرن العشرين

ينظر القرن العشرون الى تقدم العلوم معجباً بما اوتيه من الفرائب والعجائب في اخضاع قوى الاثير والهواء والارض والماء والكهربائية واستخدامها كلها لمنفعة الانسان وتخفيف مشقاته واتعابه. على ان هنالك مظهراً من مظاهر تقدم العلم واتساع نطاقه قلما نرى لهُ ذكراً في مفاخر هذا القرن وهذا المظهر هو لعمري اعظم المظاهر شأناً وابعدها اثراً وهو اول البراهين على تقدم العلم واجلالها. الا وهو نزول العلم عن عرشه لرفع مقام العامة وافهامهم بعض غوامضه

فالعلم الذي كان في القرون السالفة مملكة محصورة ضمن حدود دقيقة لا يدخلها الاَّ افراد قلائل ويُحظر على غيرهم الاقتراب منها هي الآن مشاع للكل لا تحصرها شريعة موتروولا تُمنع المهاجرة اليها ولا خطر اصفر فيها لتكون ميدان جدل بين الشرق والغرب ولا مسألة شرقية معقدة تكتنفها لتكون مشكلة من مشاكل السياسة. بل لها الآن شروط وقوانين حقَّ لمن انمها ان ينضم الى رجال العلم ويحمل لواء هذه المملكة وللحال تدك الحصون والحواجز بينهُ وبين من هم على شاكلته من ابناء الامم الاخرى وبناتها

وما هذا بالمظهر الوحيد لما اريد بل نجد في هذا القرن علاقة حيوية بين العلم والعامة

فالعالمُ القديم الذي كان يرى العلم باتعه في اوليات فلسفية عن تعريف الفضيلة والمعرفة وكان لا يجد لنفسه مقرًّا الاَّ في الصوامع وكانت افضل علامات علمه تنسكهُ وزهدهُ نراهُ اليوم يسعل بين العامة ومعهم ولهم. كان الناس قبلاً ينظرون اليه مشعوذاً ساحراً اما الآن فيرون فيه صيدليًّا قانونيًّا وكيماويًّا خبيراً يعمون اليه لتركيب الادوية او لاستشارته في امور صناعتهم وزراعتهم. ومن كانوا يرون فيه جنًّا وشيطاناً ينظرون اليه الآن معجبين باوتوموبيله وفونوغرافه وتلفونه وتلغرافه وروو الى آخر ما هنالك من المكتشفات البخارية والكهربائية. والنتيجة مزدوجة الفائدة وهي تحرير العامة من خوفهم منهُ والانتفاع بمنتجات عقله وتجاربه

ثم بفضل رجال العلم الافذاذ تفاهم العلم مع العامة تفاهماً جزئيًّا فانتسخت

من تصورات الناس معتقدات وخرافات كانت سبباً لضعف قواهم المعنوية. فتجد اليوم في كل بلد نفراً من الناس لا يلجأون الى صناع الحديد والطبول والدفوف خائفين مستعوذين عند خسوف القمر بل يعرفون الاسباب الطبيعية التي تسببهُ. ووجود هذا النفر توطئة لتحويل الباقين وتعليمهم

وقلما نجد اليوم مقاطعة خالية من افراد يعرفون القليل عن الكهربائية او اسماء النجوم او مبادىء الكيمياء او قواعد علم الصحة او اصول مساعدة الجرحى المساعدة الاولية او تطبيب مريض في العائلة قبل دعوة الطبيب او غير ذلك من اصول المعارف

ففخر القرن العشرين اتساع نطاق العلم بكثرة العلماء المحققين وكثرة تفرعهم وكثرة اختصاصهم وكثرة انتفاع الناس من مباحثهم حتى صار الناس يعدون كل بحث لا يعود على البشر بالفوائد المادية او الادبية والمعنوية عقيماً يجب طرحهُ جانباً. ومن مفاخر هذا القرن ايصال الحقائق العلمية بطريقة سهلة الى عقول العامة لتساعدهم في حل مشاكلهم وفك معضلاتهم. ولا بد ان تعم هذه الحقائق كل العالم لان المساعي مبذولة في كل قطر لتعريف كل فرد الى مبادئ العلوم لكي يتمكن من فهم آراء العلماء

ان مباحث العالم الطبيعي في نظام النشوء والارتقاء علمت بعض الناس كيفية تحسين نوع خيولهم ومواشيهم ونسلها فعادت عليهم بارباح طائلة. وان تجارب الميكانيكي والضحايا العديدة في سبيلها قد اراحت الجمل والبغل والحصان من احمال الناس وقربت المسافات وذللت امواج البحار وقوات الهواء وها نحن نرى بعض العامة يسيّرون القطار والاوتوموبيل والطيارة والباخرة ويصنعون الفونغراف والآلات الكهربائية وكثيرون منهم يعرفون دقائقها ويفهمون خصائصها

ان خضوع دقائق المادة لارادة الكيماوي سهلت على العامة استخدام رؤوس اموالهم في التراكيب الكيماوية كالسماد الصناعي والبنزين ... الخ اجل ان لا حرية الا في المعرفة الحقيقية فمعرفة خصائص المكروبات حررت العامة من الجدري والحميات وغيرها من الامراض المعدية. واي حرية الزم من حرية المعرفة الحقيقية او اوقع منها واثبت. وعلى هذه القاعدة نجد عامة القرن العشرين تتمتع بحرية كانت قبلة ابناء العصور الخالية

ان مساعي العلماء اليوم منصرفة الى ايصال الحقائق الاجتماعية الى عقول العامة وهاهم يدرسون اميال عامة الناس ليكتبوا لهم ما يفهمونهُ عن المعاملة والتعامل والمشاركة والتآلف والحقوق والواجبات الى آخر ما هنالك من الامور الاجتماعية المعروفة

فما يبذلهُ علماء السيكولوجيا من درس نفس الانسان ومعرفة مواطن ضعفه وقوته واسباب ميله الى الجرائم والمنكرات والمساعي التي يبذلونها لتحسين احواله واتقان تربيته في البيت اباً وفي المدرسة تلميذاً وفي السجن مجرماً لعمري هو خير احسان الى البشر والقوة التي ينفقها علماء التربية لدرس ذوي العاهات العقلية والبدنية وتفهم باعداد ما يلائمهم من الدروس والصناعات لهي افضل حسنة تخفف شقاء نفر من البشر وويلاتهم

نهى المشترعون عن الفحش والزنى ولكن العلماء نشروا ابسط العبارات كتباً يعلمون بها الرجل والمرأة كيف يجتمعان ويعيشان معاً فيربيان نسلاً قليلاً قوياً سليماً فينظر الرجل الى المرأة نظرهُ الى شريكٍ في واجب مقدس لا الى صنيعةٍ في لذة وحشية . ان هذه الكتب لهي اكفل وسيط لترقية النسل وتقليل شقاء الفقر وزوال الخصومة من العائلة

ان ايصال مثل هذه الحقائق الى العامة ليس بالامر السهل فلا يوصل العلم الصحيح الى العامة الا العالم المدقق والباحث النقاد وكلنا يعرف بالاختبار ان انفع الاساتذة واكثرهم فائدة للتلاميذ واقلهم تعقيداً في خطبه وشرح دروسه هو اغزرهم علماً واعرفهم في علمه

فالعامة التي تفتخر برقيها هذا وتفاخر بحريتها تذكر العالم الذي اوصل لها هذه الحقائق سليمة سهلة اتعابهُ شاكرة منة وتخلد لهُ في صفات تاريخها ذكراً حميداً دونهُ ذكر ملوكها الفاتحين وعظمائها السياسيين ولهُ في تجارتها ونسلها ابلغ اثر يُذكّرها بانهُ خير المحسنين اليها

***

هذا هو الرجل الذي ترثيه العامة في العالم العربي لانهُ حررها بالعلم والبرهان وبابسط عبارة واسهل بيان حرّاً من السحر والجهل والخرافات وكتب لها البسائط في علم الفلك والكيمياء والنشوء والارتقاء وحفظ الصحة والعناية بالاطفال والاختراعات والاكتشافات جامعاً بين اللذة والفائدة

هذا هو احد زعماء الحرية الفكرية بين الناطقين بالضاد. هذا هو الدكتور يعقوب صرّوف المحسن الكبير الى ابناء العربية بعلمه ودقته نكبه عالماً مصلحاً وترثيه محسناً كبيراً

اذكر ذلك الشيخ الشاب جالساً الى مكتبه وقد قال لي قبل ان انصرف من حضرته. «اكتبْ لاعلّم العامة كيف يقرأون وماذا يقرأون وكيف ينتفعون بما يقرأون »

بيروت جورج عبود الاشقر

عبد الرحمن بن خلدون

بحث نقديٌّ في حياته واسلوبه وآرائه

٢

مؤلفاتهُ وتحليلها

كان اول ما نشر من مؤلفات ابن خلدون مقدمتهُ التي طبعها في باريس المستشرق الافرنسي Quatremère سنة ١٨٥٨ في ثلاثة مجلدات . ولهُ في ذلك الفضل العميم اذ اليهِ يرجع الفضل في تمهيد السبيل لكل من تجرد بعدهُ للبحث في حياة المترجم ومؤلفاته . وقد ترجم المقدمة الى الافرنسية البارون دي سلان De Slane سنة ١٨٦٢ واضاف اليها بحثاً ضافياً في حياة المؤلف ، مع شروحات مفيدة . وترجمها ايضاً الى التركية محمد پرزاده

وما يسمى اليوم بمقدمة ابن خلدون ، يتألف في الحقيقة من مقدمة تاريخهِ الكبير مضافة الى الكتاب الاول منهُ . وموضوع المقدمة بتحديد صاحبها «علم التاريخ وتحقق مذاهبهِ والاطلاع على مغالطة المؤرخين » واما الكتاب الاول وهو القسم الاكبر من المقدمة المعروفة فيبحثُ في العمران وما يعرض فيهِ من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم وما الى ذلك من العلل والاسباب ، وقد نال ابن خلدون ما نال من الشهرة والمكانة من اجل هذا القسم الصغير من مؤلفهِ في التاريخ . وما ذلك الا لان المقدمة تحتوي على ملخص آرائهِ الفلسفية وجميع ما استحدثهُ من الابحاث على اختلاف موضوعاتها . ولانها فوق ذلك تمثل حقيقة الفورة التي بلغتها العلوم الاسلامية في تطورها اثناء القرون السبعة السابقة . وها نحن ندرج للقارئ موضوعاتها حسبما اعاد ترتيبها وتفصيلها الدكتور طه حسين ، ونحن نميل الى الاعتقاد بان عمل الاستاذ هذا هو اجلّ وانفع ما قام بهِ في كتابهِ المشار اليهِ . فقد رتب ابحاث المقدمة في سبعة فصول عنوّنها كما يأتي :

١ الظواهر المستقلة عن الاجتماع
٢ الظواهر الاجتماعية للحياة البدوية
٣ الظواهر الاجتماعية لحياة الحضر — السياسية

٤ً الخلافة والامامة
٥ً الخواص العامة لحياة الحضر
٦ً وسائل الكسب
٧ً العلوم والصنائع

وتلا المقدمة في النشر تاريخهُ الكبير الموسوم «كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر» وقد تم طبعهُ في بولاق بمصر سنة ١٨٦٧ ، فجاء في سبعة مجلدات . وقد كنا ننتظر ان يطبق المؤلف اراءهُ الواردة في المقدمة على اسلوب البحث في تاريخهِ، بيد انهُ لم يفعل من ذلك شيئاً بل سلك سبيل من تقدمهُ من المؤرخين العرب كالطبري والمسعودي وغيرهما، اللهم الا في امرين فقط لم يأت هو على ذكرهما في مقدمته حين نقد المؤرخين . فالامر الاول انهُ كان اول من عدل من المؤرخين عن اتباع الطريقة الخبرية بالترتيب السنوي فقسم تاريخهُ الى عدة اجزاء اختصّ بكل منها امة او اسرة . والثاني ان تاريخهُ يمتاز عما سبقهُ من كتب التاريخ بما تضمنهُ من المقدمات الاجتماعية والفلسفية في صدور اكثر الفصول حين ينتقل في البحث من دولة الى اخرى . ويمكننا حصر ابحاثهِ في تاريخهِ تحت ثلاثة عناوين : —

اولاً اثر الحضارة في الانسان
ثانياً تاريخ العرب من اقدم الازمنة الى ايام المؤلف
ثالثاً تاريخ الامم البربرية منذ احتكاكها بالعرب

ويلحق بآخر تاريخهُ الكبير سيرتهُ التي كتبها بنفسهِ وسماها ، رحلة ابن خلدون، وهي عند التحقيق تاريخ لعلائقهِ السياسية ، وترجمة لكل من اتصل بهم من العلماء والامراء . وقد لخّص البارون دي سلان De Slane موضوعاتها في اربعة عناوين رئيسية هي: —(١) تاريخ اسرتهِ (٢) اساتذته ودراسته (٣) علائقهُ السياسية بكل ما تتضمن من احوال تلك الايام (٤) مجموعة من شعرهِ ، ومراسلاتهِ مع ابن الخطيب وغيرهِ من الادباء

وقام اعلام المستشرقين بنشر غير ذلك من كتابات ابن خلدون وترجمة ما يهمهم منها . فطبع البارون De Slane القسم المختص بالمغرب في الجزئين السادس والسابع من التاريخ الكبير في الجزائر سنة ١٨٤٧ ، ثم نشر ترجمتها بعد ذلك بقليل الى الافرنسية ،

وصدرها بمقدمة طويلة ومعجم مفيد لاسماء الامكنة الواردة في الكتاب وترجم المسيو Demombynes الافرنسي كل ما اختص بتاريخ بني الاحمر في الاندلس ، فنشره في المجلة الاسيوية [1] وفاز Fornberg الاسوجي بنشر كل ما ورد في تاريخ ابن خلدون عن حملات الافرنج في بلاد المسلمين . وقد بلغنا ايضاً ان الاستاذ Casanova الذي توفي في العام السابق ، درس وجهة اخرى من تأليف هذا المفكر لم تأكد بعد ماهيتها

هذا وللمترجم مؤلفات اخرى لم يبق لنا منها سوى اسمائها ، قد ذكرها صديقهُ ابن الخطيب في كتابهِ « الاحاطة » ونقلها عنهُ المقري [2] وكلها كما نرى خارجة عن موضوع التاريخ وهي. (١) شرح البردة. (٢) كتاب في الحساب. (٣) شرح رجز في اصول الفقه . (٤) عدة اختصارات لبعض كتب ابن رشد

ابن خلدون مؤرخاً

رأيت في تحليل تاريخهِ الكبير ان ابن خلدون كمؤرخ لا يكاد يمتاز بشيء عن سواهُ من المؤرخين بيد انهُ علينا ان نفرق بين تدوين التاريخ ونقدهِ النظري . ومع ان المترجم لم يأت بشيء جديد في تاريخهِ من حيث التدوين والرواية ، فهو اول من بحث في التاريخ فاستخرج منهُ علماً نقديًّا نظريًّا. ويرى الدكتور طه حسين انهُ قلّد بذلك علماء الفقه ، وسلك سبيلاً الى التمحيص عرفهُ المسلمون حينذاك واستعملوهُ . فقد رأى الفقهاء يستخدمون علم الاصول لدرس تطورات الفقه وتاريخهِ ؛ ورأى المتكلمين يستعملون المنطق للتثبت من صحة جدلهم الديني ، ورأى فوق ذلك رواة السنة والحديث يستعينون بطريقة الجرح والتعديل التي ابتدعوها للتحقق من صدق المحدثين واماناتهم . فعزم ابن خلدون ان يبتكر للتاريخ علماً يماثل تلك العلوم يتخذهُ وسيلة في تمحيص الروايات والتأكد من امانة اصحابها . وكان العصر عصر الموسوعات والمجاميع كما بينا حين نظرنا الى العصر الذي نشأ فيهِ المترجم ، فوجد فيها المادة الكافية لتوضيح فكرتهِ الجوهرية ودعم تعميماتها . ولكن لا يجب ان تنسينا هذه الفرص والتسهيلات ما لابن خلدون من الفضل في ابتداع علمهِ المستحدث، إذ البراعة كل البراعة في استثمار ما عرف من المعلومات والاستفادة من الاحوال التي احاطت بهِ

(١) راجع Journal Asiatique السلسلة ٩ والمجلد ١٣

(٢) في نفح الطيب ....) طبعة معرج ٤ ص ٩١ ٤

والتاريخ على حدّ قوله (لا يزيد في ظاهره عن الايام والدول والسوابق من القرون الاول . . . . وفي باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق ، فهو لذلك اصيل في الحكمة عريق ، وجدير بان يعد في علومها وخليق (٣) ». فالتاريخ على ما نرى في نظره علم فلسفي موضوعهُ الحياة الاجتماعية بكل ما فيها من المرافق والمؤسسات . وقد درسهُ فوضع لتقدم ثلاثة مقاييس . اولها : التشيّع في الكتابة وثانيها : سهولة تصديق الرواة واما الثالث : فالجهل بطبائع الاحوال في العمران ، وهو في نظره اهمها واعمها شيوعاً وليست مقدمتهُ وكل ما اشتهر به من الآراء الاجتماعية المبتكرة سوى شرح وايضاح وضعهُ لهذا العلم الذي استحدثهُ واطلق عليه اسم (العمران) . ويستخرج من علمه هذا ثلاثة قوانين رئيسية هي المرجع لجميع آرائه التاريخية : —

١ قانون العلية ، او ربط الاسباب بمسبباتها وهذا الجديد في كل اجزاء المقدمة

٢ قانون التشابه ، او كما يقول « قياس الماضي بالحاضر والغائب بالشاهد »

٣ قانون التباين ، حيث يقول « ومن الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الاحوال في الامم والاجيال بتبدّل الاعصار ومرور الايام »

وقد اختلف العلماء العصريون في ماهية هذا العلم الجديد وحقيقته فقال Nesendouk انهُ تاريخ الحضارة ، وسماهُ الدكتور طه حسين بالفلسفة الاجتماعية ، وقال Gemplowicz لا بل هو علم الاجتماع عينهُ . وارتأى غير هؤلاء آراء اخرى في موضوع المقدمة . غير اننا لا نرى مسوغاً لقبول مثل هذه التحليلات ، ونعتقد ان مقدمة ابن خلدون لا تزيد عن كونها اول مؤلف في النقد التاريخي ولئن وجدت فيها مباحث في العلوم المختلفة كالاقتصاد ، والسياسة ، والدين ، والفلسفة ، والتربية ، وما الى ذلك ، فلا نأخذها الاّ انها مباحث ثانوية التجأ اليها المؤلف لشرح غايته وهدفهُ الوحيد من مقدمته هو اعداد علم مستقل ينقد به التاريخ . واذا زدنا على ذلك ان هذا ما يقولهُ هو بشأن مقدمته ، وتذكرنا انْ المقدمة هذه لا تزيد عن كونها ، كلمة افتتاحية ، ازاء باقي مؤلفه وهو تاريخهُ الكبير ، عرفنا بل تأكدنا ان موضوع المقدمة هو النقد التاريخي ليس الاّ

ولا ننكر ان المؤرخ المغربي باتخاذه التاريخ موضوعاً للتأمل وقاعدة لاستخراج

(٣) لمقدمة طبعة بيروت سنة ١٩٠٠ ص ٤

القوانين العامة قد ساء فهم التاريخ بعض الشيء. لان كل ما يُسمى به المؤرخ الحديث هو جمع الحقائق الماضية وعرضها بطريقة مضبوطة منظمة ، دون ان يستخرج منها العبر والدروس. الاّ اننا لا نكاد نرى لابن خلدون مناصاً من هذه الامال الفلسفية حين تحفّز لنقد التاريخ . ولا يسعنا الاّ ان نخالف رأي الدكتور طه حسين في هذا الشأن حيث يشبّهُ المقدمة بكتاب Montesquieu فيقول «ليس في وسعنا مثلاً ان نقول ان « روح القوانين » كتاب علمي او تاريخي ، بل هو مؤلف فلسفي . فاذا نحن راعينا فروق العصر والحضارة والذهن الفينا تقارباً عظيماً بين ذلك المؤلف ومقدمة ابن خلدون » لانهُ باصداره هذا الحكم قد تغاضى عن الغاية التي كتب من اجلها المؤلف كما بيّنا. واذا تذكرنا الغرض الاساسي الذي من اجله الّف ابن خلدون مقدمتهُ ، ولو انهُ استطرد في كثير من المواقف، حقّ لنا ان نعتبرها الحجر الاساسي الذي قام عليه النقد التاريخي Historical Criticism . وان اردنا ولا بدّ ان نقابلها باحدى المؤلفات فلا اقرب اليها بالاسلوب والموضوع من مؤلف ... الايطالي (٤) الذي عاش بعد المؤرخ المغربي بثلاثة قرون وكان اول من طرق هذا الموضوع من الافرنج

واما الطريقة التي سلكها مؤرخنا في بحثه فهي علمية محضة ، حديثة من عدة وجوه . إذ بحث في التاريخ بحثاً استقرائيًا ، وشاد قوانينهُ العلمية وتعميماته الفلسفية على الحقائق التي عرفها وتعب في جمعها. بيد اننا ننقد منهجهُ في امر جوهري واحد، وهو عدم اكتراثه لفحص المصادر التي استقى منها الحوادث ، والتي جعلها اساساً لاستخراج علمه الفلسفي. ومثلهُ في ذلك على حدّ قول الانكليز مثل من وضع العربة امام الحصان ، إذ انكل في كتابة ما وضعهُ لنقد التاريخ ، على حقائق لم يهتم بتمحيصها قبل ان يتخذها قاعدة لاستنتاجاته. وكان الاجدر به ان يبدأ اولاً بكتابة تاريخه على الطريقة العلمية الصحيحة ، ثم ينتقل بعد ذلك الى ابحاث المقدمة التي تبنى عليها . فيكون حينئذٍ قد تأكد من رسوخ قاعدته التي يشيد عليها . ولهُ خطأ آخر هو محاولتهُ وضع قوانين عامة التطبيق ، مع انهُ بنى تأثيهُ على ما عرف من تاريخ الامم الاسلامية فقط وهو لا يكاد يعرف سواها من تاريخ الشعوب الاخرى . ولكن لابن خلدون الفخر بان Müller العالم الالماني قد رأى بعد الدرس العميق ان آراءه

(٤) راجع كتابه "Principe de la Philosophie de l'histoire" طبعة باريس سنة ١٨٢٧

المستنبطة، تنطبق بكليتها على تاريخ الاندلس والمغرب وصقلية فيما بين القرن الحادي عشر والخامس عشر، ولا غرابة في ذلك، لان هذا جلّ ما عرفهُ ابن خلدون قبل ان شاد فلسفتهُ

والتطور في نظر ابن خلدون طبيعي في الجماعات، ترتبط الحلقة منهُ بما يتسلسل بعدها. فالحاجة تدعو الى الغزو ويقتضي ذلك ضرورة تأسيس الزعامة، فلا تلبث القبيلة البدوية ان تتحضر في المدن. فاذا ما كثر فيها الانتاج حصل البذخ واستسلم السكان الى الدعة والخمول. فتغزوهم على الاثر قبيلة اخرى ذات عصبية وشوكة تقضي عليهم وتؤسس على انقاض حضارتهم تمدناً جديداً، وهكذا دواليك. والقارئ المتبصر يرى ان في مثل هذه النظرية اشارة بل تلميحاً الى النظرية التاريخية الحديثة القائلة بارتباط الحوادث وتسلسل الواقعات (The Continuity of History)

واذا كانت بعض اراء ابن خلدون في كيان الجماعات المركب؛ وتطور انظمتها يجعلهُ في اسمى مراتب المؤرخين الفلاسفة، فان ما يعزوهُ من شأن كبير للعمل والملاكة والاجرة يخولهُ مكانة رفيعة بين اقتصادي هذا العصر. أليس استنباطهُ على تقدم الزمن، ان لمرافق الحياة ولشروط المعاش ومقوماته فعلاً كبيراً في نشأة الطباع واكتساب الملكات الجديدة، دالاً على بعد نظره ونفاذ بصيرته؟ فلقد بحث في الجزء الثاني من القسم الخامس من مقدمته في الملاكة وتقسيم الاموال، والرزق ووجوه تحصيله. وبحث في موضع آخر في موضوع السلطان السياسي وطبقات الاجتماع، منوّهاً في اثناء ذلك كله بعلاقة هذه العوامل بالتاريخ وبتأثيرها في تسيير مجراهُ. فهل بالغ بعد ذلك كله، إن قلنا ان ابن خلدون هو الامام لمن يحاول اليوم شرح التاريخ وكتابتهُ من الوجهة الاقتصادية (The Economic Interpetation of History)

وللقارئ دليل آخر على عظمة الرجل واتساع عقله. فقد اعتبر الحياة الاجتماعية بكل ما تتضمن من المرافق والمؤسسات موضوعاً لبحثه، واراد ان يشرح تاريخ الانسانية باوسع معاني الكلمة ففاز بالغاية او كاد حين تكلم عن (الظواهر المستقلة عن الاجتماع) لعدم ارتباطها باختلافات الزمان والمكان. وفشل بعض الشيء في القسم الاكبر من مؤلفه حيث تناول (الظواهر الاجتماعية للبدو والحضر) وذلك لاقتصار معلوماته كما قدمنا على الشعوب الاسلامية، وتنوّع هذه الظواهر واصطباغها بمكيفات الاقليم والبيئة والدين. ونحن لا نقول خشية التطرف الاّ ان جهود المؤرخ المغربي

هذه قد تذكرنا ميول بعض مفكري العصر الحاضر ومؤرخيه امثال H. G. Wells (٥) و J. H. Robinson (٦) الذين تطمح نفوسهم لجعل التاريخ مسرحاً للعالم تقوم الانسانية بتمثيل ادوارها عليه

ابن خلدون فيلسوفاً

لقد كنا نستطيع ان نلحق هذا الفصل بما سبقهُ ، او ان ندرج قسماً كبيراً مما اسلفنا من آرائه المختلفة تحت هذا العنوان ، لشدة ما بين هذه الموضوعات من علاقة في مباحث ابن خلدون العلمية . الاَّ اننا رأينا ، طلباً لتبويب وطمعاً في الوضوح ، أن نخصص للبحث في آرائه الفلسفية الصرفة ، فصلاً بمفرده

اشتهر المترجم بآرائه الفلسفية ، مع انهُ اتخذ لنفسه التاريخ حرفة ، ولعل في ذلك ما يساعدنا على فهم مقدمته وما استطرد اليه فيها من شتى الابحاث . لم يرض ابن خلدون عن الفلسفة المدرسية كما عرفها اهل زمانه ، لان عقليتهُ العلمية كما حللناها لم تتفق وقواعدها الموضوعة . والعالم في نظر مؤرخنا اوسع من ان تحيط به نظريات الفلسفة واوضاع المنطق ، ويرى أن ليس للعالم الحقيقي الاَّ أن يسبر الحوادث بفكره الصائب ويتدبر اختباراته اليومية كيما يصل الى الحقيقة الناصعة في العلم والفلسفة .

فابن خلدون سلك في الفلسفة سبيلاً تختلف عن طريقة ارسطو واتباعه ، فهو لم يحلّق للبحث في السبب الاول والروح وما الى ذلك من الابحاث التجريدية ، بل قال ان الفلسفة علم للموجودات يجب تحقيق قواعدها بالامور التي تشاهد وتحسّ . وعلى ذلك كان التاريخ في نظره علماً فلسفيًّا ، لان طبيعة الانسان ثابتة على كرور الايام ، ويمكنك ان تقابل العصور فتتثبّت من حوادثها باختباراتك اليوم . والمترجم اقرب ما يكون في آرائه الفلسفية هذه ، الى مدرسة الفلاسفة الوضعيين Positivists واليه يعود الفخر في تقرير تلك القواعد الاجتماعية التي نحسبها اليوم بسيطة مبتذلة وما هي حقًّا الاَّ القاعدة الاساسية التي شاد عليها هؤلاء ابحاثهم

وتمتاز فلسفتهُ عن فلسفة القرون الوسطى ايضاً ، بتباعدها عن الدين . فان ابن خلدون مع كونهِ من المؤمنين بما فوق الطبيعة كبقية مفكري المسلمين ، حاول

(٥) راجع مقدمة كتابه The Outline of History طبعة نيويورك سنة ١٩٢٠ ص ٦
(٦) اطلب الفقرة الثامنة من الفصل الثاني في كتابه The New History

ان يخضع هذه الاعتقادات لسلطان النظام (Scheme) ان لم نقل لسلطان العقل (٧) وليس للدين في فلسفته وطريقة تفكيره من كبير أثر، فهو قد قبل به اما عن عقيدة راسخة او لاسباب سياسية لا تزال تجهلها. ولذا لا تراه يلتجىء الى استعمال ما وراء الطبيعة والكلام الا في المواقف التي لا تخضع للطريقة التجريبية العملية، والمشاكل التي تخرج عن دائرة الاختبار

ونأخذ عليه امراً واحداً في فلسفته، هو ميلهُ من حيث التفكير الى المدرسة النفعية Utilitarianism. وانت تصادف هذا الميل في مؤلفه بين الآونة والاخرى، حتى تهيأ لك ماثلة في فصله عن العلم والتعليم. فتراهُ لا يقيم للعلم وزناً الا بمقدار نفعه وفائدته، اذا يقسم العلوم الى نوعين اولها مفيد بذاته، والآخر واسطة لهذه العلوم النافعة. والنوع الاول في اعتقاده اهم بكثير من الثاني، ولا قيمة البتة لسوى هذين النوعين من العلوم. غير اننا متى وزنا الرجل بميزان العصر الذي عاش فيه، وراعينا المقاييس العقلية والاخلاقية لتلك العصور، وجدناهُ متميزاً عن اترابه من بني زمنه، مسابقاً لعصره في كثير من مآتيه

الخاتمة

والخلاصة ان ما من عالم يبحث في كتابات ابن خلدون مهما كان ميلهُ واختصاصهُ الا ويستنتج منها المعلومات الطريفة عن نفسية هذه الشخصية الكبيرة وحقيقة اميالها. وقد سبق لنا فقلنا ان الدرس العلمي الصحيح في حياة المترجم ومؤلفاته ما زال بعد برعماً لم يزهر. وليس هذا المقال سوى نظرة اجمالية الى الموضوع كما عرفهُ اليوم، تجاسرنا فيه على الادلاء ببعض الآراء الشخصية ولا ندري هل يثبتها البحث العلمي المستمر، او يقوض اركانها. بيد انهُ اذا كان البارون دي ساسي الافرنسي (De Sacy) قد لام جمهرة المستشرقين لتركهم مثل هذا الموضوع الخطير، وانصرافهم الى الابحاث التافهة من المشرقيات (٨) فاحرى بنا نحن ان نلوم انفسنا لاهمال مثل هذه المباحث الهامة في التاريخ العربي

بيروت شكري مهتدي ب. ع

(٧) اطلب كتاب "The Religious Attitude and Life in Islam" Macdonald ص ٤٥ — ٤٩ (٨) راجع مقالة عن ابن خلدون في معجم Biographie Universelle المجلد (٢١) ص ١٥٣

القلق واضطراب البال

واثرها في الصحة والعمل

كان الدكتور لايمن بيتشر يقول : « لا يموت المرء من الجدّ في العمل ولكنهُ يموت من الهمّ والقلق ، كما انّ الآلة لا تؤذيها الحركة ولكن يليها الاحتكاك ويلحق بها ضرراً عظيماً ». ومما لاريب فيهِ ان النائبات والشدائد الجسيمة لا تقوى على تعكير صفاء الحياة ، بقدر الاكدار والمخاوف والوساوس الطفيفة التي تلمّ بالمرء من يوم الى يوم فتنغّص عيشهُ وتهدم دعائم توازنهِ العقلي

وقد كتب الدكتور الشهير جورج جاكوبي وهو من جهابذة المتضلّعين من علم الاعصاب عن فعل القلق فقال : انّ ضحايا الهمّ في القرن الاخير أربت على آلاف القتلى في ساحات الوغى . وانّ ادهش ما توصّل اليهِ علم الاعصاب في الآونة الاخيرة اثباتهُ ان القلق فتّان مودٍ بالحياة . وماحث الاطباء لم تقف عند هذا الحدّ فحسب ، بل انها اخترقت الحجب التي كانت تكتنف هذا العارض واماطت اللثام عن غوامضهِ ودقائقهِ ، فاظهرت ان كثيراً من الوفيات المنسوبة الى اسباب شتى ناشئة في الحقيقة عن القلق واضطراب الافكار

فالقلق يفعل فعلهُ الذريع في خلايا الدماغ الحيوية مشبهاً نقط الماء المتساقطة على بقعة واحدة لا تتعدّاها ، فانها مع صغرها وضعفها اذا وقعت على الصخر الاصم لا تلبث ان تشقهُ وتفريهُ ، فلا عجب اذا كان التفكير المؤلم المستمرّ المنحصر في موضوع واحد مثافاً لخلايا الدماغ مقوّضاً لبنيانهِ الليّن الهشّ

ويفعلُ القلق ميكانيكيًّا هو كذلك أشبه بفعل مطرقة صغيرة لا تزال دائماً ابداً تهوي على الدماغ ضرباً حتى تمزق اغشيتهُ وتختلّ نظامهُ . فتتيّم العاشق وهمُّ المضطرب وحزن الحزين ، ما لم يبذل هؤلاء الجهد العظيم في مكافحتها ، تصبح كالطرقة المشار اليها فلا تنثلم ان تدنّ اركان الدماغ وتذهب بالرشد وتفضي الى اختلاط العقل واختلاله

وقد اظهر البحث ان القلق والهمّ والفكر الراسخ الملازم تنتاب المصاب بها حتى لا يجد لنفسهِ منها الى الخلاص سبيلاً . ثم انّها لا بدّ بتتابع وقوعها ومعاودتها من ان

تهدم جزءاً ولو يسيراً من خليات الدماغ ، اذ ليس شيء أشقّ عليه من مقاومة الافكار المزعجة التي لا تنفكّ تخالجهُ وتساورهُ . وما كانت اجزاء الدماغ متصلة بعضها ببعض بواسطة الالياف اتصالاً محكماً ، كان من المتحتّم ان يتطرّق الفساد من الجزء المصاب الى سائر جوانب الدماغ واثنائه

والقلق بحدّ ذاته شبيه بالوسواس ، وليس من حالة عقلية اخرى اوخم عاقبة وافدح ضرراً بالانسان من حيث عموّ نفسه وسعادته ونشاطه من القلق وشريكه الانكسار . وطباب هذه العلّة هو توطيد العزيمة على طرح الفكر المقلق جانباً وتناسيه وترويح البال وتسليته . وعلى المرء متى شعر بتعب فكريّ ان يبادر الى ابدال عمله بعمل آخر يطلق به نفسهُ من عقال الضجر والسآمة ، لان التسلي هو اعدى اعداء القلق واعجع دواء يُعالج به

ولا مراء أنّا اذا استسلمنا للهموم والاكدار قذفنا بانفسنا قرناً كاملاً الى الوراء ، وتراجعنا الى عصر الآلة البخارية في اول عهدها ، حينما لم يكن مستعملها ينتفع منها بسوى عُشر ما ينفقهُ عليها من الوقود ، فكانت القوة المستفادة توازي عشرة في المائة والقوة الذاهبة سدًى تسعين في المائة

وكثيرون هم الأُولى يشبهون تلك الآلات المنبوذة إذ يهدرون قسماً وافراً من نشاطهم بالاضطراب والانزعاج والتذمر والتشكي ، بينما نرى اناساً آخرين يستثمرون جلّ قواهم ان لم يكن كلها في ما يعود عليهم بالخير العميم والنفع الجزيل . فطوبى لمن تعلّم ان يحيا الحياة الهنيئة المثلى ، فاستفاد من كل ما أُوتيه من نشاط وقوة ، ولم يبدّد شيئاً من مواهبه في ما لا يجديه نفعاً

قال شيخ وقد ادركتهُ الوفاة لاولاده : اعلموا يا بنيّ أنهُ قد خامرني في اثناء حياتي مخاوف جمّة لم يتحقق الاّ القليل اليسير منها . وحدّث تاجر وجيه عن ابيه قال : كان ابي مدة عشرين سنة يوجس خيفة من حدوث شرّ لم يقع ابداً

فكثيراً ما تتوقع حوادث الحياة ونبتسرها ابتساراً بدلاً من ارجائها لاوانها واجتزائنا بشؤون اليوم الذي نحن فيه . فهمّ اليوم كافٍ بما يتأتى عنها عظيم ضنى ، ولكن ليست كذلك المبالاة بامور المستقبل التي تضنك العقل وتوهن الجسد . فانما هي مشاغل الغد والاسبوع القادم والعام المقبل التي تشيب الرؤوس وتجعّد الوجوه وتحني الاجسام وتنهك القوى

وجدير بالانسان العاقل ان يقيم حوالي حاضره سوراً منيعاً حائلا بينهُ وبين ماضيهِ وآتيهِ ، فيعيش في حظيرتهِ خليًّا مطمئن النفس ناعم البال . وقد كان ثاكري الكاتب الانكليزي يقول : «ان كل امرىء يخلق لنفسهِ البيئة التي يشتهيها ، لان الدنيا شبيهة بمرآة تعكس لهُ شكلهُ وصورتهُ فاذا اقبل عليها مقطباً قطبت واذا بشَّ لها وابتسم بشت وابتسمت»

ويحكى ان دوايت مودي الواعظ الاميركي تقدم يوماً الى تلامذتهِ بان يتباروا في استنباط المعاني ، فمن جاء منهم باحسن فكر اجازهُ بخمسمائة ريال . فكان المجلي في هذا المضمار من قال : يتذمر الناس من ان البارىء جلَّ وعلا انبت مع الورد شوكاً ، افما كان احرى بهم ان يحمدوهُ اذ انبت مع الشوك وروداً

ولا شك في انَّ مما يساعد الفتى على الفوز في معترك الحياة قبوله للعالم بما فيهِ من الاشواك والاسواء . فقد قال فونتيل : ان الاسراف في الامل والرجاء هو حجر عثرة في سبيل السعادة والهناءة . وقال السر جون لبوك : لو ان الموكول اليهم امر تربية الناشئة علموهم المسرة بمهامهم بقدر اهتمامهم بمسرتهم لآل ذلك الى ترقي العالم وسعادتهِ . وكان اوليفر وندل هولمز وقد بلغهُ الكبر لا ينفك ابداً يذكر جبل مريتهِ التي علمتهُ صغيراً الاعتماد على مساوئ الحياة . فكانت اذا جُرحت اصبعهُ تصرف نظرهُ عن ألمهِ بدمية تهديها اليهِ او حكاية تقصُّها عليهِ . وكان يعزو اليها اغتباطه الدائم المستمرّ ، الاغتباط الذي يسهل اكتسابهُ على الغلام ويعسر على البالغ اشدَّه واما في الشيخوخة فمهمات لا يبالهُ احد ابداً

وقال احد المشاهير : لما كنت ارضُّ اصبعي في ايام طفولتي ، كان القائمون بامري يعزّونني ويطمئنون بالي بتوجيه نظري الى ابن الجيران الذي بترت ذراعه باجمعها . وحينما كان القذى يتسرَّب الى عيني ، كانوا يذكرونني بابن عمي الذي فقد عينه ولا رجاء لهُ باستردادها ، فكنت ارى نفسي إزاء هذا وذلك سعيداً محظوظاً

فينبغي إذن ان يعوَّد الاطفال الانبساط والارتياح الى كل ما يعرض لهم في الحياة ، ناظرين الى الاشياء من وجهها المشرق المنير لا المظلم القاتم ، حتى اذا شبّوا على هذه الخلة شابوا عليها ورافقتهم من المهد الى اللحد

ملخَّصة عن « ماردن » ابراهيم دادا

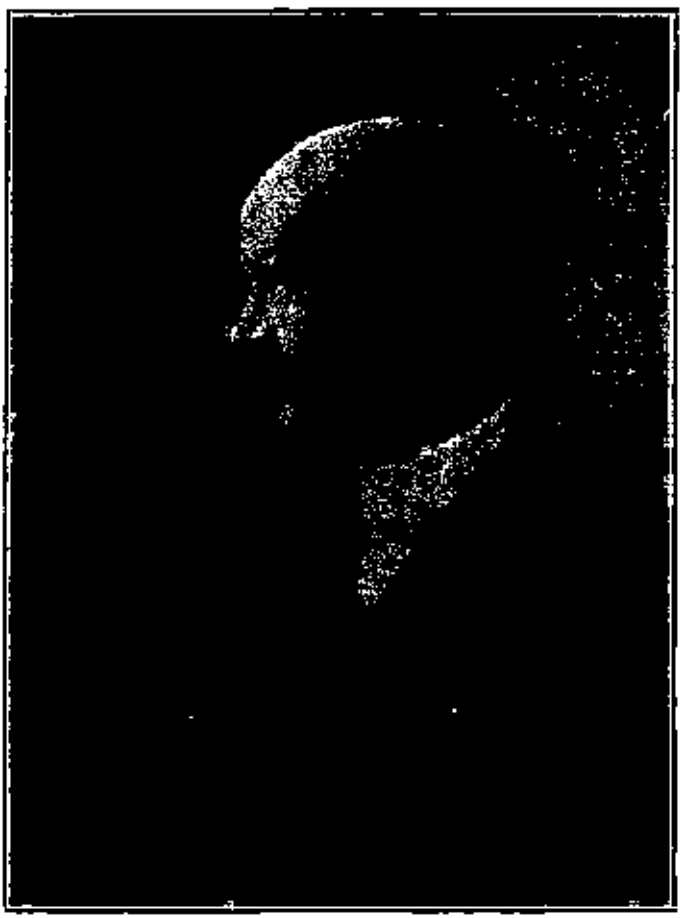

المرحوم الدكتور غراهام

الذي اثبت ان بعوض «كيولكس» ينقل جراثيم حمى الدنج « ابو الركب »

معتطف نوفمبر ١٩٢٧

امام الصفحة ٢٨١

مذكرات طبيب عن حمى الدنج

(ابو الركب)

كيف اثبت الدكتور غراهام نوع البعوض الذي ينقل مكروبها

[انتشرت حمى الدنج (ابو الركب) في لبنان في هذا الصيف وقيل انها آخذة في الانتشار في مصر فرأينا ان ننشر لقراء المقتطف هذه المقالة وهي مقتطفة من رسالة مهمة للمرحوم الدكتور غراهام استاذ الباثولوجيا سابقاً في جامعة بيروت الاميركية وهو اول من اثبت طريقة انتقال عدواها]

١

لم يعرف شيء أكيد عن باثولوجيَّة هذا المرض وعن طرق انتشاره رغماً مما كتب من المجلدات الضخمة والتقارير المفيدة عنهُ منذ انتشاره في جزيرة جاوى والقاهرة والاسكندريَّة سنة ١٧٧٩ الى ان دخل البلدان التي شرقي البحر المتوسط سنة ١٨٨٩

وقد شرَّح بعض المدققين كثيرًا من جثث المتوفين بهذا المرض فلم يروا تغيرات ظاهرة فيها . وكان يظنُّ سابقاً انهُ مرض ناشئ عن العفونة والرطوبة ولكن بعد تفشيهِ سنة ١٨٩٨ عمَّ الاعتقاد جمهور الباحثين فيهِ بانهُ مرض معدٍ . وقد ذكر الاستاذ الدكتور لخنسرن (في باثولوجية نوتناجل) قولاً جمع فيهِ ملخص ما كتب عن هذا الداء وهو «انهُ ينتقل بالعدوى ولكنهُ لا ينتشر الاَّ حيث توجد المستنقعات او المتصعدات المازمية» ومما يثبت انهُ مرض معدٍ سرعة إنتشارهِ من منزل الى منزل في مدينة دخلها وسرعة انتقالهِ من شخص الى آخر من افراد عائلة واحدة

ومما يجمل ذكرهُ ان عدم انتشار المرض في الاماكن الخالية من المستنقعات ادَّى بكثيرين من الباحثين الى الاعتقاد انهُ ليس من الامراض المعدية بل انهُ مرض مازمي ينشأ عن متصعدات الاراضي الواطئة الرطبة . والادلة كثيرة على عدم انتشارهِ في غير الاماكن الواطئة التي تطيب لهُ الاقامة فيها . فقد ظهر من تفشيهِ في كوبا وجامايكا والهند الشرقية وريونيون وماريتيك ومدغسكر انهُ لم ينتشر في الاماكن العالية الجافة التي في الداخلية مع كثرة المواصلات والاختلاط . وكثيراً ما يحدث ان بعض اهالي الداخلية يقصدون السواحل ثم يعودون منها وقد ادركهم المرض واشتدت

عليهم وطأة الحمّى ولا يصاب به احدٌ من اهلهم المقيمين معهم في منزل واحد . فسهولة الاصابة به في احوال مخصوصة وصعوبتها في احوال اخرى بقيا سرًّا غامضاً الى الآن

على ان تفشي هذا المرض في بيروت في صيف ١٩٠١ مهّد السبيل الى درسه درساً دقيقاً ومعرفة الاحوال التي تصيّره معدياً في بعض الاحيان وغير مُعدٍ في الاخرى. فان لبيروت مزايا طبيعيّة ظاهرة تجعل درس هذا المرض سهلاً وتمكّن الباحث من عمل تجارب لا يمكنهُ عملها في مكان آخر . فهي واقعة على ساحل البحر في سهل تتاخمهُ قمم لبنان التي تختلف بين ٢٠٠٠ و٩٠٠٠ قدم في الارتفاع . ففي ساعة او ساعتين من الزمان يستطيع الباحث درس احوال هذا المرض في الاماكن التي على مساواة سطح البحر والتي تعلو عدة آلاف من الاقدام عنهُ

وفي اوائل يوليو سنة ١٩٠١ ظهر المرض وكان بطيء السيْر ولكنهُ اخذ يشتدُّ بزيادة الاصابات وانتشر في جميع احياء بيروت والقرى المجاورة لها حتى لم يكد منزل يخلو منهُ واذا دخل منزلاً لم يكد احد ينجو من عدواهُ . وكانت الحمى تدوم من ثلاثة ايام الى ثمانية وفي اثناء انخفاضها يظهر نقاط جلدي يختلف في كثرته وقلته . وكان كثيرون من الذين يصابون بهذا المرض — وهم ٣٠ في المائة من السكان حسب اختباري — يصابون بهِ ثانية اصابة اخف من الاولى عادة وذلك بعد مدة تتراوح بين ٤ ايام و١٥ يوماً من الاصابة الاولى ويكون في اثناء ذلك ضنىً عمومياً . وقد عرفت قليلين اصيبوا بالمرض ثلاث دفعات شديدة في اوقاتٍ مختلفة وكان يعقب كلَّ دفعة نقاط جلديّ وسقوط قشور من الجلد . وبلغت الحوادث التي وقعت تحت مشاهدتي مدة تفشي المرض ٥٠٠ حادثة فلم أرَ فيها ما يخالف الحوادث التي وصفها منسون او غيرهُ من الاطباء

هذا وقد شاهدت بعض حوادث المرض الذي تفشى في سواحل سورية سنة ١٨٨٩ فتبين لي منها ومن تقارير غيري من الباحثين في اماكن اخرى ان البعوض هو الذي يجعل المرض شديد العدوى في مكان وعديمها في مكان آخر . فان بين بيروت ولبنان من الجهة الجنوبية سهلاً واسعاً من الرمال والى شمالهِ بساتين مغروسة توتاً تروى بمياه النهر . والبعوض يغشى منازل بيروت بكثرة ويكثر وجودهُ او يقلُّ في سفح لبنان فلا يسلم منهُ الا قليل منها . وليس في مدينة بيروت نفسها انزٌ لنوع البعوض المسمى انوفوليس (كتبت هذه المقالة سنة ١٩٠٢) مع اني دققت في التفتيش عنهُ انا

وغيري ولكن النوعين المسميين كولكس فاتيغنس Culex fatigans وستغوميا فاسياتا Stegomyia fasciata ينشيانها بكثرة ووجدت نوع كولكس فاتيغنس (البعوض العادي) في كثير من قرى لبنان المشرفة على بيروت الى علو ٥٠٠ قدم عن سطح البحر وكذلك نوع ستغوميا فاسياتا ولكنهُ اقلّ من الاول

٢

وفي اوائل تفشي المرض جربت عدة تجارب لاتحقق هل البعوض المسمى كولكس فاتيغنس ينقل العدوى من شخص الى آخر . واول تجربة جربتها كانت في امّ وطفل رضيع لها . ففي بدء اصابتها أعدم البعوض كلهُ من غرفتها بواسطة غاز الكلورو وكانت تنقل كلّ يوم من غرفة الى اخرى بعد اعدام البعوض منها . وقد بقيت مريضة مدة خمسة عشر يوماً كانت الحمى فيها شديدة وسمح لها بارضاع طفلها في تلك المدة كلها ولكنهُ لم يصب بمكروه البتة

والتجربة الثانية تمت على الطريقة نفسها واتخذتُ جميع الاحتياطات لابعاد البعوض كما في الاولى وكان المريض فيها صبيًّا عمرهُ احدى عشرة سنة ولهُ ثلاثة اخوة دونهُ سنًّا وعمر اصغرهم اربع سنوات وكان الاربعة ينامون في فراش واحد موضوع على الارض فلم يصب احد من الثلاثة الاصحاء بالمرض واعني بطرد البعوض من الغرفة مدة ١٣ يوماً

والتجربة الثالثة جربت برجل لهُ ثلاثة اولاد قد اصيب بالمرض ورضي باحتمال كل مشقة ليحمي زوجتهُ واولادهُ منهُ فاتخذت التدابير اللازمة كما في الحادثتين السابقتين . وكانت اصابتهُ معهُ شديدة واستمرت خمسة ايام وظهر بقاط على الجلد وتساقطت منهُ قشور . وطرد البعوض من الغرف مدة ١٧ يوماً فلم يصب احد غيرهُ من افراد عائلته بالمرض

وقد اعدتُ هذه التجارب في حوادث اخرى ولكني عدت عدلت عنها بسبب اهمال اهل المرضى فاني كنت ارى البعوض في الغرف عند عيادتي لمرضاهم وكانوا يقولون انهم يفضلون الاصابة بالحمى على العزل . وخلاصة القول ان النتائج جاءت على ما يرام حيث اتخذت الاحتياطات اللازمة

على ان الدلائل في التجارب المتقدمة كانت سلبية وعليهِ جربت تجارب اخرى للوصول الى نتيجة ايجابية وذلك بالتلقيح . وعذري في تعريض الناس للعدوى هو

ان كل شخص قابل لها في المدينة كان لا بد ان يصاب بالمرض على كل حال . ثم ان المرض ليس ذا خطر على من كان شابًّا وصحيح الجسم . وكنت اصف ماهية التجربة لمن يتقدم لها من الشبان — ولم اكن اختار سوى الشبان الاصحاء — فكان يبدي رضاءهُ التام باحتمالها مقابل دراهم ينقدها . ولم تكن هناك صعوبة في وجود اشخاص يرضون احتمال التجربة بل في اختيار اصلحهم لها . فاخترت اربعة اشخاص من عائلات لم يصب احد من افرادها بالمرض . وكنت آخذ كلَّ مرة عدة بعوضات من داخل ناموسية (كلّة) المصابين بالدنج واضعها داخل ناموسية الاشخاص المراد تلقيحهم وكانوا ينامون ليلة بعد ليلة وهذه البعوضات داخل ناموسياتهم . فاصيب احدهم بالمرض بعد وضع البعوضات داخل ناموسيته بخمسة ايام والثاني بعد وضعها بستة ايام والثالث باربعة . اما الرابع فمضى عليه اسبوع ولم يصب بسوء فجئت ببعوضات اخرى . وكان البعوضات الاولى فاقدة الكرة عليه وعدنَ خائبات . وقد اخبرني هذا الشاب انهُ اصيب بالمرض مدة تفشيه سنة ١٨٨٩ وصحب ذلك ظهور نقاط على الجلد وسقوط قشور منهُ . ولعلَّ ذلك كان السبب في عدم قبوله للعدوى هذه المرة

وقد اصبت انا بالمرض سنة ١٨٨٩ واشتدَّت وطأتهُ عليَّ ولكني لم اصب به هذه المرة مع اني تعرضت لهُ على الدوام ولم أعنَ بوقاية نفسي منهُ . وقد اشترطت على الذين عملت التجارب فيهم ان لا يخرجوا من منازلهم حتى لا يأخذوا العدوى من الخارج ومع ذلك كله لم اثق تمام الثقة انهم لم يأخذوا العدوى من طريق آخر نظراً الى كثرة انتشار المرض وشدته في مدينة مثل بيروت . فتلافي هذا الامر اخذت بعض البعوض من داخل سرير رجل مصاب بالدنج وصعدت به الى قرية على سفح الجبل لم يكن احد من اهلها قد اصيب بالمرض بعدُ وكنت قد اغتسلت وغيَّرت ملابسي قبل صعودي الى الجبل . والقرية المذكورة تعلو نحو ٣٠٠٠ آلاف قدم عن سطح البحر ولا يكاد يكون للبعوض اثر فيها وهواؤها جافٌّ موافق للصحة جدًّا . وبعد بحث قليل اهتديت الى شابين يقطن كل منهما منزلاً بعيداً عن الآخر فرضيا ان تعمل تجربة التلقيح فيهما . فاصيب احدهما بنوبة شديدة من الدنج بعد ان نام اربع ليالٍ تحت ناموسية فيها عدد من البعوض والآخر بعد خمس ليالٍ وبقيا ينامان في غرفتيهما اياماً بعد ان نقلا وكنت قد اعدمت البعوضات التي داخل ناموسيتيهما حتى لا يصاب احد غيرهما

بالمرض . فلم اعلم باصابة واحدة هناك مدة الصيف كله مع انني لم آل جهداً في البحث والتحقيق

وحدثت اصابات كثيرة في قرية كبيرة اسمها عاليه وهي على علو ٢٣٠٠ قدم عن سطح البحر وسطح منازلها ينشأ البعوض (كولكس فاتجس). وهناك قرية اخرى اسمها بحمدون على علو ٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر وهي جافة الهواء وقلما يرى للبعوض اثر فيها وواقعة على خط سكة الحديد . وقد جيء اليها بعض المصابين بالدنج من بيروت ولكن المرض لم ينتشر بين الذين لم ينزلوا الى بيروت منها . وحدثت اصابات في عين صوفر وهي على علو نحو ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر ولكن هواءها اقلّ جفافاً من هواء بحمدون وبعوضها كثير . اما عاريًّا والشويفات وغيرها من القرى الواطئة المجاورة لبيروت فاشتدت فيها وطأة الدنج مثل اشتدادها في بيروت تقريباً

فيلوح لي من التجارب المتقدمة وغيرها ومن ابحاث الآخرين في هذا الصدد ان البعوض هو ولا ريب السبب في نشر المرض وان النوع العادي المسمى كولكس وهو ما كنّا نعدّهُ عديم الضرر الى الآن ينقل العدوى بلا شكّ ولا ارتياب

والتجارب التي شرحتها في صدر هذه المقالة وابنت بها اني وقيت الاصحاء منع البعوض من الوصول الى المصابين مع ان الاصحاء كانوا في اختلاط دائم معهم تدلُّ ايضاً على ان المرض لا يعدي ما لم ينقل البعوض سمَّ العدوى

٣

ولما تقرَّر عندي ان البعوض واسطة نقل العدوى من شخص الى آخر استدللت طبعاً ان سبب المرض او سمَّهُ انما هو في الدم وعليه فحصت دم اكثر من مائة شخص اصيبوا بحمَّى الدنج املاً بان اجدهُ فيه فاخترت لتجاربي الاشخاص الذين كانت درجة الحمَّى فيهم عالية واعراض المرض ظاهرة وسيرهُ قانونيًّا ولم أبالِ بالاصابات الخفيفة التي دامت يوماً او يومين ولم ترتفع درجة الحرارة فيها فوق المائة . استعملت في تحضير الانموذجات وفحصها نفس الطرق المستعملة لفحص الدم الذي يحتوي على جراثيم الملاريا . فجاءت النتيجة على ما يرام عند فحص الدم جديداً اما الانموذجات فكنت استحضرها على حسب طريقة ارلخ والونها بازرق التيلين او به مع البورق وصبغة ارلخ ولكن النتيجة لم تأتِ بالمرام في اول الامر مع شدة الاعتناء وتكرير البحث . واخيراً رأيت في كريات الدم الحمراء جسماً ذا حركة يشبه

مكروب الملاريا المسمّى بلازمود يوم ملاريا من وجوه عديدة . غير اني وجدت صعوبة عظيمة في تتبع ادوار حياته لانهُ بطيء النموّ جدًّا حتى ان كريات الدم كانت تفسد وتتحلَّل في الانموذجات التي استحضرها لفحص مهما بالغت في العناية بها قبلما امكني من معرفة شيء يذكر عن ادوار حياته . وكانت الحمى تستمرُّ في هذه الحوادث من اربعة ايام الى ثمانية او عشرة . فلكي اراهُ في ادواره المختلفة استحضرت عدة انموذجات من الدم من ابتداء الحمى الى آخرها وكنت ادوّن تاريخ ابتداء الحمى باليوم والساعة وتاريخ استخراج الدم لفحصه . وبعد تمرين قليل على العمل صرت أرى هذا المكروب في كل اصابة . وقد صوَّرت ما كنت اراهُ بالميكرسكوب في فحص الانموذجات ورتبت الاشكال ترتيباً طبيعيًّا على قدر ما امكن

وعند انتهاء المرض وهبوط الحمى كنت ارى الكريات البيضاء متضخمة مما ابتلعتهُ من المكروب الميت . وقد دققت كثيراً في فحص الدم وقت الاصابة الثانية والثالثة فرأيت ما رأيتهُ في الاصابة الاولى . ولما كانت هذه المكروبات اقل عدداً في الدم من مكروبات الملاريا وابطأ نموًّا وغير ملونة كانت ايضاً اقل ظهوراً واعسر اكتشافاً . ولكن الذي تعوَّد رؤية مكروب الملاريا لا يخطىء اكتشاف هذه مرة واحدة

فيستنتج اذاً من وجود هذا المكروب في الكريات الحمراء من دم المصابين بالدنج ومشابهته لسائر صور المكروبات التي ثبت انها تسبب الحميات وانتقاله من شخص الى آخر بواسطة البعوض ان هذا المكروب سبب حمى الدنج

٤

هذا وان سكان بيروت فئتان فئة تقضي الصيف في الجبال واخرى في المدينة نفسها . وفي اواخر صيف ١٩٠١ تفشت حمى الدنج فيها ولم يبقَ احدٌ الا اصيب بها . ولما زالت واخذ الهواء يبرد عاد المصطافون الى المدينة آمنين شرَّها . ولكنها فتكت بهم ولم تنتهِ حتى اوائل كانون الاول . فيظهر من هذا ومن كثرة الذين أصيبوا بها — وهم يبلغون ٥٧ الى ٥٨ في المائة — ان السبب في زوالها ليس برودة الهواء بل كون القاطنين عدواها قد أصيبوا بها

وفي شهر يناير سنة ١٩٠٢ عالجت اربعة اشخاص مصابين بالدنج وفي فبراير ثلاثة وكانوا كلهم قد جاؤا حديثاً من داخلية البلاد حيث لم يكن الدنج اثر فوجدت المكروب فيهم كلهم عند فحص الدم في اوائل المرض . ولم يقم احدهم في بيروت سوى ايام قليلة

قبل اصابته . فيستدلُّ من هذا ان حمّى الدنج قد تمكث مدة طويلة بعد ما تزول آثارها ظاهراً

ومما يجب ذكرهُ اني لم اختبر لتجاربي في الحوادث المتقدمة سوى اصابات الدنج الواضحة وكلنا يعلم ان من اسهل الامور عندنا ذكر « ابو الركب » فكلُّ اصابة بالحمّى يسهل استقصاؤها وتشخيصها نقول انها ابو الركب وذلك على مدار السنة سواء كان ابو الركب منتشراً اولا فتطمئن بذلك خواطر اهل المريض وان كانت ضمائرنا لا تطمئنُّ به . فاذا كانت الاصابة في الشتاء ولا اثر لحمّى الدنج قلنا انهُ « ابو الركب الشتوي » وغايتنا من ذلك حمل اهل المريض واصدقائه على الاطمئنان وسكون البال من جهته . على ان قسماً عظيماً من امثال هذه الحوادث لاعلاقة لهُ بالدنج البتة فيجب ان يسمى اسماً آخر

وفي اعتقادي ان التجارب المتقدمة تزيل ما بين الباحثين من اختلاف الآراء. فان بعض المشهورين من الاطباء يذهبون الى ان الدنج مرض شديد العدوى ويخالفهم غيرهم من مشهوري الاطباء ايضاً فيقولون انهُ مرض ينشأ عن الرطوبة ولا يعدي في الاماكن العالية . والسبب في هذا الاختلاف ان الاولين راقبوا المرض في اقاليم تكثر انواع البعوض فيها على حين ان الآخرين راقبوهُ حيث لاوجود للبعوض او حيث وجودهُ قليل

٥

[المقتطف] لم تتقدم المباحث الطبية تقدماً يذكر في معرفة سبب هذه الحمى منذ كتب المرحوم الدكتور غراهام مقالتهُ هذه سنة ١٩٠٢ مع ان بعض الباحثين قاموا بمباحث دقيقة لاثبات الطرق التي تنتقل بها عدواها . فقد اثبت الطبيبان اشبرن وكريج في الفيليبين وغيرهما في انحاء اخرى ان ما قال به الدكتور غراهام عن انتقال عدواها بواسطة بعوض كولكس فاتجنس صحيح . غير انهُ لم يثبت لاحدهم وجود الاجسام المرضية في الكريات الحمراء التي ذكرها في آخر مقالته وحسبها من قبيل الاجسام التي تسبب الملاريا . وقد توسعنا في كلة مكروب فاطلقناها على كل حي صغير لا يرى الا بالمكرسكوب سواء كان من انواع الباشلس او البرتوزوي او غيرها

النهضة الشرقية الحديثة

في بلاد الافغان

ماشيت آراء نخبة الافضل في الاستفتاء المقدم من مجلتكم تحت عنوان « النهضة الشرقية الحديثة واظهر مظاهرها » وقد قدّرت للكتّاب آراءهم ومباحثهم التي تنم على خبرة وطول باع كما قدرت لمجلتكم فتحها مثل هذا الباب الشيق . ولكن ردود الافاضل ، حصرت كلها في الشرق العربي ونهضته دون غيره . حتى خلت الاستفتاء خاصاً بها ، ويتناولها وحدها دون بقية البلدان الشرقية . الى أن قرأت في العدد الاخير من مجلتكم . رد حضرة الاستاذ لطفي جمعة وقد أتى على بعض من النهضة الحديثة في مختلف البقاع الشرقية ملماً الى أظهر مظاهرها في الهند وايران والبلاد العربية . ولم يشر اشارةً ما الى البلاد الافغانية مهبط الرقي الحقيقي وبلاد الاستقلال التام . مما دلني على ان مصر وكبار رجالاتها قليلاً مايعرفون عن هذه الامة العريقة . فجئت على دون سابقةٍ استميحكم ابداء رأيي في هذا الباب فأقول

عندي ان اظهر مظاهر النهضة الشرقية هي تلك النهضة الصامتة التي تسير سيراً سريعاً ومنتظماً ومطرداً في بلاد الافغان حتى لاتضاهيها نهضة أخرى من النهضات الشرقية التي تهيأت لها اسباب كثيرة ولكنها اجنبية المحتد والمولد وناهيك ياسيدي ما بالاجانب من عنجهية وصلف يشوّه وجه مدنيتهم الراقية ويترك في نفس الشرقي غضاضة وغصة

ولنضرب مثلاً بتركيا فان مجاورتها لاوربا ووقوعها في مركز تطاحنت فيه وعليه مطامع الاجانب جرها قسراً الى مياه هذا البحر الخضم وقد نالت كثيراً من الرقي ولكنه لايعدُّ وفيراً اذا قوبل بصراع قرن كامل واذا قيس بما بذلته في ذلك السبيل من الاموال وارواح الرجال . وقد كان لتركيا ان تستفيق وتتدبر أمرها قبل نصف قرن من هذا التاريخ على الاقل

وكذلك مصر فانها طوت مرحلة طويلة من الرقي لا تنكر . على اننا اذا قسنا ما تكبدته من التجارب القاسية وجدنا ان نهضتها لا تتجاوز العشرين في المائة مع ان الذكاء المصري احق من ان يمدح ويطرى . كيف لا وها مصر وتربتها الفضة وحصباؤها

الذهب . وقد توافرت لديها النعم ورتعت في بحبوحة من الرخاء لم تحلم بها الى اليوم اكثر البلاد الغربية فضلاً عن الشرقية ، هي هي من حيث الاستقلال الصناعي مع انهُ امر متيسر لا متعذر . فاين معامل مصر واين صناعتها واين شركاتها واين تجارتها ؟ احرى بالمصري ان يدفع اوربا بسلاحها الحقيقي وهو غير الدبابات والمدافع الصاهرات اعني السلاح الاقتصادي . فهل تعاقدت الايدي في مصر على هذا الدفاع الشريف وهل فكر مصري ينعم بنعم ارضه ان يضنَّ بها على الاجنبي ويحفظها على الاقل لنفسه ؟ لا والله[1] ! مع ان ما ينفقهُ المصري على فرشه الاوربي الوثير واثاثه الموشى بالدمقس والحرير وما يبذلهُ في كل عام في مصايف اوربا ومشاتيها لوضنَّ بهِ ولو الى اعوام قلائل لتوافرت لمصر اموال تكفيها ان تهيئ لضروراتها معامل قد لا يمضي القليل حتى تفيض مصنوعاتها على الهند والسودان وسورية . وعندي ان اوربا جميعها قد لا تطيق مثل هذه الحرب الاقتصادية الشعواء فلا يمضي القليل الاَّ وتراها تنزل من عالي سمائها لتصافح الشرقي وتعاقدهُ على معاملة الند للند والنظير للنظير واذا ابت الا التطرس والغرور فلمصر من جنود العمال في اوربا جيش كثيف يقيها شر ارباب الاموال وينتك باطماعها ، والعاقل من اتخذ ابناء عدوه لنصرته وهل لنا خير من عمال اوربا ينصفوننا منها

نعم ان لمصر مطبوعات هي في الدرجة الاولى وقد جاهدت في تنوير الافكار وتثقيف العقول زهاء ثلثي القرن ولكن النتيجة الباهرة لتلك الثقافة لا تتجاوز العشرين في المائة في نظري . كيف لا ونحن في القرن العشرين ولا نزال نسمع بالحرب القلمية الشعواء بين القبعة والطربوش والعمة وبين الحجاب والسفور . اذاً فنحن في ظلمة وتتغنى بالنور فهل لمثل هذه المسائل من شأن مادي ومدني وأدبي وديني حتى تفرغ لها وغيرها الشطر الاكبر من أوقاتنا

وهذه سورية شقيقة مصر قد اتخذت من المدنية قشورها ومن الغرب سفاسفهُ ولم تتمكن مطبوعاتها على وفرتها من تنظيم فكرة صحيحة لها وتوحيد مشعَّب آرائها فكل رجل بها حزب وكل جريدة حكومة مستقلة . فبين ترى واحدهم يتغنى بالجمهورية اذا بثانيهم يتحادث في سبيل وثالثهم يترنم بالعروش وأبهائها فلو تحريت قطب الدائرة بين تلك الافكار المتضادة لرأيت الوظيفة دون غيرها

(١) يظهر ان حضرة الكاتب غير مطلع على اعمال بنك مصر (المقتطف)

(ثم استطرد الى ذكر ما يعتور سبيل النهضة الصحيحة في جزيرة العرب وايران وبخارى وخيوة وتركستان والهند)

***

ومع كل هذه النقائص لا أقدر الا أن أقول أن في الشرق نهضة مباركة وحركة تململ وانتفاض مقدسة ولكنها تسير الهوينا اذا قسناها بما نراه في بلاد الافغان مع أن الفرق بين بلاد الافغان وسائر سكان الشرقين الادنى والاوسط بعيد بعداً بيناً

اذا بسطنا الخارطة الافغانية أمامنا رأينا أن الطبيعة لم تهب هذه البلاد موقعاً جغرافياً ممتازاً ولا طرقاً تجارية منظمة. بل جل ما في البلاد جبال تناطح السحاب ولكنها تحضن أحد عشر مليوناً ومائتي الف من السكان. وجل ما عرف عنهم في الغابر أنهم شعب شرقي مسلم محارب متعصب متقال في تعصبه. كانت تفترسهُ الثورات الداخلية التي كان يزكيها طلاب العروش وقد قدر له أن يجاوره الاسد البريطاني من جنوبه والدب الابيض من شماله. فاهيك بهاتين الجارتين من الطمع ولكن التعصب المذموم في غير موضعه كان خير أداة لايقاف الاجنبي عند حده وصده عن تلك الجبال ورده زهاء قرن كامل. فما كان من كلتا الجارتين الا أن عقدتا الايدي على خنق تلك الامة في جبالها واستئصال شأفة الحياة من جنوبها فحرمتاها خلافاً لتركيا ومصر وايران، حتى من شم النسيم الحياة الراقية ومن معرفة ما في الشقة الثانية من الارض من رقي وتمدن. حتى انهُ يوم احتدمت الحرب الاوربية تلثم الاخضر واليابس لم يكن في بلاد الافغان من يعرف عن اوربا شيئاً الا أفراد يعدون على الاصابع جلهم من البيت المالك

انتهت الحرب العمومية وانتهت معها حياة الملك السابق حبيب الله خان الذي لم يعرف أن يستفيد من الفرص ليمحو عن نفسه وبلاده تلك الوصمة الاسيوية وصمة الحماية الخارجية. قُتل في مضربه بين أهله وصحبه في واد كان يصطاد فيه. وهنا أبت المشيئة الربانية الا أن تنهض هذه البلاد من كبوتها وتصلح من شأنها وشأن الشرق الاوسط. فمنع تاج الافغان عن نصر الله خان كبير العائلة وكان قد بايعهُ أكثر الناس وتُلّ عرشهُ في اليوم السابع من اعتلائه لهُ وكذلك مُنع التاج عن عنايت الله خان وكان الناس يحسبونهُ وليّ العهد أبيه وقُدّر أن يلبسهُ جلالة أمان الله خان ثالث أنجال الملك المقتول. وهنا تبدأ نهضتنا الجديدة

جلالة ملك الافغان

سيقوم برحلة الى أوربا في دسمبر . وهو روح النهضة الحديثة
في بلاد الافغان

مقتطف نوفمبر ١٩٢٧

امام الصفحة ٢٨٨

قبل عشرة سنوات من هذا التاريخ أي يوم البيعة المشهود أخذ جلالة أمان الله خان التاج من يد شيخ الاسلام وكان يحاول وضعهُ على رأسهِ فرفعهُ عالياً بيده وقال مخاطباً جموع أبناء أمتهِ

« اخواني وأبناء أمتي تقدمون لي تاجاً هو عندي من تيجان المذلة والعار لان فوقهُ تاج يدعون أنهُ تاج الحماية وأنا لا اعترف بها فان بايعتموني على تاج تكفلون أنتم حمايتهُ بدمائكم ودمائي فانا خادم أمتي ووطني الامين والا فهاكموا تاجكم وعرشكم بايعوا به من شئتم »

في ذلك اليوم أعلن الاستقلال التام الناجز لجميع البلاد الافغانية قبل أن تبدأ المفاوضات وقبل أن تحج الوزارات الى لوندرة وقبل أن يلجأ أحد الفريقين الى اعناق الحسام

أما الاستقلال الناجز الخالي من جميع شوائب الامتيازات فقد فتق العقول وأهبها لنيل الاصلاحات الجديدة على يد منيكها ومرشدها واليك بعضها

١ — افتتح البرلمان الافغاني المسمى دار الشورى رسمياً في السنة الثانية مشتملا على ٣١١ عضواً وكانت دورتهُ الاولى ولا شك مؤلمة لعدم تعود الاعضاء مواقف الدفاع عن الامة . ولكن جلالة الملك كان يحضر جلساته بنفسهِ ويدربهم كأحسن معلم على الحكم الذاتي واستقلال الفكر وذلك بأناة وصبر وكان يفند كثيراً من سخيف الاقوال بالدلائل الصحيحة . وهذا منتهى ما قام بهِ ملك من تلقاء نفسهِ حتى تدربت الامة على الاصول الانتخابية والحكم الذاتي وكانت لا تعرف شيئاً من ذلك

٢ — المعارف : وهذه لم يكن لها في الافغان من أثر الا مدرسة واحدة كان يتخرج منها الطلاب من الاكابر على مئتين من الجنود . وسواد الامة جاهل الجهل المطبق . ولا أقول ما عاناه جلالة الملك بنفسه ونفيسه في افهام الامة ضرورة التعلم . وخصوصاً يوم كان المجلس يتداول على قانون التعليم الاجباري . فكم وقف في أفراد أمتهِ خطيباً يبين لهم بلسانهم القومي ضرورة التبرع باولادهم للتعلم مؤكداً لهم أن الحكومة ستقوم بجميع مهام التعليم ونفقاته وكان يناقشهم خصوصاً في ضرورة تعليم الفتيات مع أن ذلك كان أمراً معيباً عندهم لا عيب يفوقهُ . حتى نزلوا على ارادته لا عن اقتناع بل امتثالاً للامر

ولكن اليوم ومعارفنا في عامها العاشر، أتعلم عدد ما افتتح في البلاد من المكاتب الابتدائية؟ ١٢٠٠ مدرسة. ولا تعجب اذا قلت لك ان الحكومة تقوم بنفقاتها حتى كتب الدراسة والورق والاقلام والحبر. هذا عدا المدارس العالية وهي سبع في كابل. وسبع في الولايات وقد أتمت دورتها التاسعة في هذا الحول ومعلموها خليط من الافاغنة والالمان والفرنسيين والترك والمصريين وليس لاجنبي أدنى امتياز أو تفضيل على الوطني وهو يسير وفق قوانين البلاد الداخلية وقد حج الى هذه المدارس مئات من طلاب بخارى وخيوة حتى ومن الهند نفسها

٣ — المالية: وهذه كانت اسماً بلا مسمى. وللقارىء وحده أن يقدر الصعوبة في خلق ميزانية جديدة لبلاد لم تألفها ولم تسمع بها ولكن الناس الفوا في السنة الثالثة تطبيق الميزانية حتى ليصبروا الوزارة الآن مرّ الانتقاد على غرض يخصّص عنها. وقد ظن كثيرون أن امتناع انكلترا بعد الاستقلال عن دفع الاتاوة الحربية يحدث فراغاً في الخزانة ولكن خاب فألهم لأن تلك الاتاوة التي كانت تستعيض عنها انكلترا بضرب الضرائب الفادحة على الصادر والوارد من المتاجر الافغانية عادت الى جيوب الافغان أضعافاً مضاعفة حتى أن دخل الحكومة الذي كان لا يزيد على ثلاثة ملايين جنيه في السنة بلغ في السنة التاسعة ثمانية ملايين جنيه خصص منها للعارف ما يزيد على المليون ونصف المليون

٤ — تنظيم الخارجية: والخارجية التي لم يكن لها في العهد السابق الا ادارة صغيرة يشرف عليها مدير يحفظ الاوراق الرسمية اصبحت الآن وزارة كبيرة تشغل عمارة عظيمة وتتألف من ست عشرة شعبة واحدى عشرة ادارة. وأول ما فعلته ارسالها البعوث الى أوربا والشرق البعيد والقريب. ولها اليوم تسع سفارات في الخارج واحدى وعشرون قنصلية تقوم بمهامها. ومع أن الافاغنة لم يتمرنوا على الاعمال الخارجية كما يجب لم تجز عليهم أساليبها الخداعة وقد خصصت ميزانية هذا العام مبلغاً لافتتاح سفارة للافغان في مصر. ولعل الخابرات بين البلدين تنتهي عاجلاً

٥ — الصناعة: ان رقي الافغان الصامت هو حقيقة الرقي بعينها فمعامل الحديد ومعامل الاسلحة والطيارات والمنسوجات القطنية والصوفية ومعامل أسلاك الكهربائية والتلفون ومعامل الكبريت، كلها على انها مع أنها وليدة ثماني سنوات لكنها كفت

الافغان مؤونة ابتياع هذه الاشياء من الخارج . وحفظت للبلاد ملايين جنيهاتها التي كانت تتسرب الى جيوب الاجانب. وأما المعادن وقد كانت كثروة البلاد مجهولة في طيات الارض أخذت تستخرجها الحكومة من تلقاء نفسها تحت اشراف نخبة من مهندسي اميركان والالمان . وقد باعت في السنة الماضية ثلاثمائة طن من اللازورد في أسواق اميركا . والبحث عن البترول أصبح ذا شأن عظيم وأما الفحم الحجري فقد وجد له عروق قد لا تنضب في سنين كثيرة . وكذلك النحاس والياقوت سيكون أعظم ما تملكه البلاد من الثروة الطبيعية . وأما الصادرات فمن أعظمها اليوم فرو الاسترخان المعروف (بالقره قولي) في الافغان وهذا لا يقل المصدَّر منه عن مليون جلد تتباين قيمة الجلد بين الجنيهين والثلاثة جنيهات وهي تباع رأساً في أسواق نيويورك ولوندرة. وللافغان في أوربا بعوث من الطلاب تربي على ثلاثمائة طالب ليس بينهم الا خمسة طلاب يدرسون الطب وثلاثة المحاماة والباقون يدرسون الصنائع علميًّا وعمليًّا خلافاً لبقية بعوث الشرق الذين لا تجد في الف منهم الا نزراً يسيراً يقبل على الصناعة

وأما سياستها الخاصة فقاطعة لا تعرف معنى الارهاب ولا تتدثر بأثواب الرياء بل تعلن الامة الافغانية بين كل فترة وأخرى على لسان مليكها انها شرقية وجهها مصير كل أمة شرقية حتى انها اشترطت في معاهدتها مع روسيا الاستقلال التام لبخارى وخيوة وقد نزل الروس صاغرين على هذا الشرط لما يئسوا من المراوغة التي لم تجدهم نفعاً . ولكنهم اغتنموا الجهل البخاري وحملوا الاهالي على أن يوقعوا صكاً يعترفون به بارتباطهم لشكل حكومتهم الوطنية

واما اخلاق الامة الافغانية فقد غلب عليها بعد الانقلاب الاخير الرصانة والسكون وتلمس ابواب الرقي بصمت وثبات. وقد لبسوا جلهم القبعات الاوروبية ولم يقل احد منهم أن هذا يخالف الدين .واباحوا السفور لمن شاء والتحجب لمن شاء فتركه البعض وتمسك به آخرون

اما هذا التطور ياسيدي لم يكن من الهنات الهينات بل عرفنا دونه الاهوال وقد خضنا بعض انقلابات وثورات دموية لدرء الفئة الرجعية . ولكن اذا امتدح النبوغ الافغاني فليمتدح مليكه المجدد الذي احيا تلك الامة الميتة .ولم يقنع من الملك بهذه فترك الرسميات وقام يشغل فوق منصبه المقدسة منصب رئيس الوزارة المسئول . وقد

شهدتهُ اول البارحة يلقي خطبة من خطبهِ المشهورة في سكان كابل يبسط لهم الكلام عن سفرة قام بها في الجنوب لتفقد الحراج المستحدثة . ووالله لا اقول الا الصدق قام ذلك الملك العظيم بلباسهِ العادي يخطب ساعتين وخمس دقائق بصوت جهوري لا يعتوره ملل ولا كلل يلقي خطبتهُ وظاهرها بيان تلك الرحلة وباطنها درس علمي كان يلقيهِ على افراد امتهِ يعرّف كلاً حقوقهُ الذاتية وواجباتهِ الوطنية ازاء الحدود المنصوبة سالفاً في الافغان وخطورتها . وما من يوم الا وله مثل هذا الموقف . واذا حللت نفسهُ العظيمة فقد لا تجد فيها شيئاً من الانانية والعنجهية حتى ليتوج عباراتهِ دائماً بكلمة (اتقدم لكم وانا واولادي فداء رقيكم)

فهذه يا سيدي عندي اظهر مظاهر النهضة الحديثة ومثلها تحيا الامم . ومن يشك في ما سردتهُ فليتفضل ويقبل ضيافتي ليشهد كل ذلك بعيني رأسهِ

ا — الكندي

التباين الخلقي

تأثير العوامل الباطنية الموروثة

اجملنا الكلام في بحثنا الاول[1] عن العوامل الطارئة على النفس التي من شأنها التأثير في الاخلاق تأثيراً مخصوصاً يوجهها الى وجهات شتى متباينة متناقضة منها ما هو حميد محبوب ومنها ما هو ذميم مستهجن كعوامل البيئة والعادة والتربية والتعليم وانماء الارادة والميل وغيرها. ونرى الآن من المفيد تتمة لمقالنا الكلم عن الطبيعة الباطنية الموروثة الخاصة بكل نفس والتي تدفع بصاحبها الى ميول ذاتية قد تختلف عن ميول الغير حتى وان كان شقيقاً ، وتظهرهُ باخلاق خاصة وارادة خاصة وافكار واعمال وخطط خاصة بهِ دون شقيقهِ فنقول :

كانت الفلسفة في العهد السابق وعلى الاخص في القرون الوسطى ترجع التباين الخلقي لدى الافراد الى الامزجة واختلافها في كل فرد فكانوا ينسبون الى اصحاب المزاج اللمفاوي مثلاً ميولاً وطبائع واخلاقاً يعينونها وينسبون خلافها الى اصحاب

(١) انظر صفحة ٥٢٧ من مقتطف مايو ١٩٢٧

المزاج الدموي فالعصبي فالصفراوي ووقفوا فيها جامدين اجيالاً متعهدة غير انهم كانوا في بحثهم هذا نظريين مرتكزين على آراء ومبادئ فلسفية بحتة غير مدعمة بدلائل علمية فسيولوجية منطبقة على سنن الحياة البشرية على ما جاءت عليه وعلى ما هو مشاهد فيها . ولكن في عهدنا الاخير اتجهت افكار العلماء المختصين المشتغلين بالوقوف على كنه وظائف اعضاء الانسان واسرار دقائق طبيعته وتراكيب حياته ومنتها الى البحث في الموضوع بحثاً وافياً ومعالجته من وجوهه كلها . فما عزوا على شيء علمي يعزز تلك المبادئ الفلسفية القديمة التي كانت ترجع التباين الخلقي الى اختلاف الامزجة لدى الافراد

وفي الواقع كيف كان يتاح لهم تعزيزها من طريق علمي والذهاب معهم الى ان اختلاف الميول والطبائع واختلاف المشارب والاخلاق يرجع الى اختلاف الوان اصحابها وكثرة الكرات الدموية في اوعيتهم او قلتها فيهم واصفرار وجوههم او احمرارها او قوة عقلهم وجهازهم العضبي او ضعفهما الامر الذي قد يكون لهُ تأثير ظاهر في ميلهم الى الكآبة او الفرح بحسب ما قد يشعرون به من ألم المرض او نعيم الصحة ، ولكنهُ على كل حال بعيد كل البعد عن قدرته على املاء خطط الحياة وتكوين النيات وبث روح الهمة والبسالة والاقدام والثبات واحتقار الصعاب والمهالك والمخاوف والموت في سبيل الحرية او الوطن او الشرف او المصلحة العامة وتكران الذات ، او على العكس من الاولى في ايجاد روح ضعيفة مجردة عن الارادة تجنح الى الانانية الذاتية او الى البخل والشح وتفضيل البقاء وطول العمر دون الاستهداف لاي خطر من اي نوع يكون والاستكانة الى العيش المهين الرغد مهما كان فيه من الضيم والمهانة والالتجاء الى مناقص الرياء والنفاق والكذب واساليب الخداع والغش والدس والنميمة لجر فائدة صغيرة ذاتية او ارتكاب الجرائم والسفالات لنيلها وما اشبه ذلك من الاخلاق والميول المنحطة . نعم نقول انها بعيدة كل البعد عن تكوين هذه الميول في النفس وعن تكوين النشاط وحب العمل واحتقار التقاعس والكسل او التحبب من البطالة . انها بعيدة كذلك عن تكوين طبيعة الميل الى الخجل من كل شيء او الجرأة فيه وعن ايجاد الميول الى تفضيل الحياة الجدية على نقيضها او تفضيل المرح والمفاق

الحياة في الهزؤ والضحك او في تكون طبيعة الميل الى الامانة والاستئمان والتصديق او الى نقائضها من الخيانة والاستخوان والحذر والارتياب وعدم التصديق بسهولة وهكذا

فهذه النوعات المشاهدة من الميول والاخلاق لا يمكن ارجاعها باي حال من الاحوال الى مختلف الامزجة لفقدان العلاقة والرابطة بين ما تكون عليه الامزجة وبين طبائع المظاهر الذكائية التي توجه الاخلاق الى ما تتوجه اليه بحسب ما توارثه الابناء عن الامهات من تلك القوى الكامنة في نفوسهم والتي ترقيها وتنميها مؤثرات تطرأ عليها امثال التربية والتعليم والعشرة ومؤثرات اخرى يتناها في بحثنا الاول بصرف النظر عما تكون عليه اصحابها من امزجة او بنيات

وانا مع تسليمنا الكلي بفضل مؤثرات البيئة والتربية والتعليم في الخلق وفي اعانها وتوجيهها الى مواطن الخير والفضيلة فانا كذلك نعتقد اعتقاداً لاريب فيه بان في النفس قوة كامنة بمجموعها العصبي تتوارثها عن امهاتها منذ ما تكون مضغة ترسم لصاحبها الخطة او الخطط التي يتبعها لحياته ومستقبله ويرى فيها صورته وسعادته حتى هذه التي تظهر من عين الآخرين قبيحة او سافلة او شريرة او بعيدة عن محجة الحكمة او الاعتدال او الذوق السليم او الناموس او الشرف ولكنها من حسن الحظ قابلة التحوّل والتأثر بكل شيء جذاب وجميل وكامل في ذاته . ذلك لان مشيئة الله التي ابدعت الحياة على الارض نظمت الحياة البشرية على ان تخضع لسنة التوارث حتى في الصفات والاخلاق وفرضت فيها لسلوك كل فرد حيّ من افكاره ونياته وخططه واعماله الخضوع لشيئين متوارثين ممتازين احدهما عن الآخر في وظائفها وكيات قواها بحسب ما قد يكون الفرد قد نال من توارثه لآبائه وأمهاته

هذان الشيئان او بعبارة اصح هذان المستودعان اللذان هما اشبه الاشياء بالدينامو تكمن فيهما قوتان كهربائيتان احداهما قوة النشاط والاخرى قوة الشعور والاحساس

كذلك ارادت سنة الله ان لا يكون من الضروري ان تتوازن هاتان القوتان في مقاديرهما في الجسم الواحد فقد تقل في الاولى وتكثر في الثانية وبالعكس . اذ ليس من المفيد انهُ عند ما تنمو قوة النشاط لدى فرد لاقصى درجة قد تبلغها في المراكز العصبية ان تكون القوة الاخرى كذلك بالغة عندهُ منتهاها في الحساسية . فقد شوهد عند بعضهم ان بلغت فيهم قوة النشاط مبلغاً قاصياً للغاية وكانت فيهم القوة الثانية رغم

هذا منحطة انحطاطاً مريعاً على العكس من الاولى . ففي هذا المعنى تكاد تكون الرابطة بينهما مفقودة او هي في حيز العدم

ولما كانت هاتان القوتان التي اليهما يرجع على الاغلب التاين الخلقي بسبب ان مستودعاتهما قد تكون ممتلئة بالدقائق والجواهر الكهربائية التي تظهر الاخلاق الظهور البديع عند نوابغ البشر وتكونها تكويناً باهراً وتجعل الارادة عند اصحابها اشد واقوى من الصلد واوسع من الجبال الشامخة ، فانها قد تكون عند الآخرين فارغة منها او من القدر الكافي منها فتنحط اخلاق اصحابها الى أسفل الدركات واحط المنازل وعندها تكون الارادات خاضعة محكومة منقادة لما تمليه عليها الشهوة او الارادات الاخرى المستمدة نشاطها من المستودعات الغنية الطافحة بالدقائق الكهربائية في مجموعها العصبي . وقد لا تكون المستودعات طافحة كثيراً ولا فقيرة كثيراً وتكون في جواهرها بين بين او تكون اقرب الى الكمال او الدرجات القصوى او تكون على العكس اقرب الى السفلى منها او تكون وسطاً وهكذا كل بحسب ما توارثهُ من تلكم الدقائق والجواهر عن آبائهِ واجدادهِ وبحسب ما شبَّ عليهِ بحكم نبل التربية والتعليم او انحطاطها او فقدانها

وقبل ان نفيض الكلام عن هاتين القوتين نلاحظ ان كل ما تقدمهُ يتعلق بالاخلاق في جميع حالات الصحة والحياة العادية لا في الحالات المرضية التي قد يقع فيها المرء ويكون من شأنها التغيير من خلقهِ كامراض المدة والنورستينيا والامراض العصبية . فهذه ولا شك حالات عرضية تدفع الانسان الى الخروج عن اطواره مدفوعاً بتأثير المرض الطارىء عليهِ ثمَّ تزول عنهُ بزوالها بحيث يرجع الانسان بعد خلاصهِ وبرئه منها الى ماكان عليهِ من اخلاق قبل وقوعهِ فيها

الاخلاق

ولكن ما هي الاخلاق ؟ اليست هذه التي يمتاز بها انسان عن اخيهِ الانسان بسلوك مستقيم طيب مهذب راق محبوب يستحق لاجلهِ تمجيد الناس وتقديرهم لهُ . وعليهِ يكون الناس في الحقيقة فريقين : فريق ذو اخلاق . وفريق مجرد عن الاخلاق . فريق يتمسك بالحق ويسلك في سيره سبيل النزاهة والثقة والامانة والصدق والشرف ويلاحظ ضميره ودينهُ ويخشى الله في معاملتهِ لابويهِ وزوجهِ واولاده واقاربهِ

وجيرانه وسائر الناس بان يعاملهم بما يحب ان يعاملوه به ، ويعمل على ما فيه تنفيذ الشرائع. وبديهي ان في احترام الشرائع خيراً للجميع . لان الشرائع كلها ترتكز في روحها على ثلاثة اركان : الاول المعيشة بالشرف. الثاني عدم الاضرار بالناس . الثالث اعطاء الحق لصاحبه . ففي احترامها او العبث بها تتبين الاخلاق صحيحها من فاسدها ويتبين معها الميل الى النظام العام او الجنوح الى الخلل والفوضى والهمجية التي هي طعمة الفريق الثاني ونقمة على الطوائف البشرية بل على الحضارة

الفريق الاول هم الذين نقصدهم ونطلق عليهم اسم اصحاب الاخلاق . وهم الذين اختصوا ويختصون على الدوام بالفضل والثناء والمحبة وتقدير العاقلة والجيران والمعارف في كل جيل وكل عصر بين مختلف الشعوب والقبائل بالرغم مما يكون اتتابهم من ارهاق وتعذيب بسبب ثباتهم في اخلاقهم . فقد تركوا صحائف حياتهم نقية طاهرة من المزريات طافحة بجليل الاعمال وكريم المواقف التي تذكرها لهم الابناء والاحفاد بفخار ليس فوقه فخار في العالم

فأخلاق امثال هؤلاء هي التي نقصدها ونقصد الحض على التخلق بنظائرها . وشعبنا الكريم المصري لا شك يقدر ما يعود على نهضته من الثبات والتقدم اذا نحن اعتمدنا في تربية ابنائنا على تحسين البيئة التي يعيشون فيها وحصنهم من معاشرة الاواسط المنحطة ومنحناهم تعليماً راقياً وارشادات ومواعظ قويمة وعوّدناهم الصدق والصراحة وحب العمل واحتقار النصاب والمخاطر والمخاوف كلما عارضت امانيهم ووقفت حائلاً دون مقاصدهم النبيلة ؛ (وهي عادات تعتبر من اهم مظاهر الاخلاق الراقية في الانسان) وفهمناهم منذ نعومة اظفارهم بأن العالم بجمعه آخذ بأسباب التقدم والرقي وان علينا نحن المصريين واجباً مقدساً هو مجاراته في صناعاته وفنونه ومتاجره ومعارفه وعلومه وآدابه وكل شيء تعتمد عليه الحضارة الراهنة في ذهابها بالامم الناهضة الى الامام . وان هذه المهمة لن نبلغها الا بلوغ مستوانا الاخلاقي ما هو مقدور له من المنازل السامية . وان هذا وحده هو الذي يجعلنا جديرين بان نكون ورثة هؤلاء العظماء الاماجد اجدادنا الفراعنة الذين يرجع الى فطنتهم وافكارهم واخلاقهم تدين العالم باسره ! وسنوفي البحث في مقالات تالية فيما يتعلق بقوتي النشاط والشعور وعلاقتهما بالذكاء وعلاقة الجميع بالاخلاق

عثمان مرتضى

ذكرى عميد المقتطف

المرحوم الدكتور صروف

في لبنان

[بعث الينا وكيل المقطم اللبناني وصف الاحتفال التذكاري الذي أقامهُ فضلاء اللبنانيين تكريماً لذكرى المرحوم الدكتور صروف ونص الخطب التي تليت فيه فرأينا ان ننشر في هذا الجزء وصف الحفلة وخطبة صهر الفقيد السر سعيد شقير باشا شاكرين لاهل العلم والفضل عنايتهم بتكريم ذكرى العلماء تقديراً للفضل وتشجيعاً لطلاب العلم والمشتغلين به . قال المكاتب]

ان بيروت مدينة العلم التي احتفلت منذ عام وبعض عام بيوبيل المقتطف الذهبي في جامعتها الكبرى التي تفاخر بأن صاحب المقتطف ومحرره الراحل كان أول أبنائها الذين نالوا شهادتهم منها فحمل مشعل العلم عالياً حتى اصبح نبراساً يهتدي به وقبساً يستضاء بنوره — ان بيروت هذه شعرت بعظيم مصاب العالم العربي بفقد المرحوم الدكتور يعقوب صروف بعد مرور عام ونيف على احتفالها بيوبيله الذهبي وتمنيها له طول الحياة له حتى تحتفي بيوبيله الماسي. شعرت بذلك الخطب العظيم شعوراً لا أغالي اذا قلت انه يفوق شعور كل مدينة أخرى . وقد نشط فريق كبير من وجوه المدينة وكرام أدبائها الذين عرفوا فضل محرر المقتطف العلامة الراحل وارتشفوا من منهل علمه الزاخر وتتلمذوا لهُ في مدرسة المقتطف الجامعية للاهتمام باقامة حفلة تذكارية للفقيد الكريم فتألفت لجنة منهم قوامها السادة اسبر افندي شقير وامين افندي الريحاني والاستاذ بولس افندي الخولي وجورج افندي باز ومحمد بك جميل بهم وحبيب افندي البستاني ورامز افندي سركيس والامير الدكتور رئيف ابو اللمع والكونت فيليب طرازي وكامل بك حميه ونجيب افندي خلف ويوسف افندي افتيموس واخذت على عاتقها أمر اعداد الحفلة المذكورة والدعوة اليها . ولما كان الفصل صيفاً ومعظم سكان بيروت غائبون عنها والاجتماع غير متيسر في خريفها المذيب رأت اللجنة ان تقيم الاجتماع في مصيف عاليه الشهير واختارت له الفندق الفخم الجديد الذي أقامه آل جبيلي هناك

وقد تفضلوا بتقديم ناديهم لتلك الغاية لمشاركة اللجنة في عواطفها . وتفضل فخامة الاستاذ شارل دباس رئيس جمهورية لبنان وهو العالم الاديب الذي يرهن في مواقفه عن غيرته على أهل العلم والادب واهتمامه برفع علم دولتهما عالياً فجعل الحفلة تحت رئاسته ولما تمت الاستعدادات اللازمة وزعت اللجنة أوراق الدعوة الى الحفلة في الساعة الثالثة من بعد ظهر الاحد في ٢١ آب (اغسطس) سنة ١٩٢٧

وفي الموعد المعين ازدحم فندق آل جبيلي بوفود القادمين لحضور الحفلة ولتكريم ذكرى الراحل الذي كان عظيماً بعلمه عظيماً بأخلاقه عظيماً بآدابه عظيماً باستقامته ودعته فامتلأ نادي الفندق بهم على رحبه . ذلك النادي الذي طالما كان مشهداً للزهو واللهو والطرب — كان في تلك الساعة مجلى للهيبة والاحترام والجلالة والوقار

جلس في مقدمة الجمهور فخامة الاستاذ شارل دباس رئيس الجمهورية والى يمينه حضرات اصحاب العطوفة والمعالي الاستاذ الشيخ محمد الجسر رئيس مجلس الشيوخ والاستاذ موسى بك نمور رئيس مجلس النواب والاستاذ بشاره بك الخوري رئيس مجلس الوزراء ووزير المعارف والدكتور سليم بك تلحوق وزير الصحة والاستاذ الياس بك فياض وزير الزراعة وصاحب السعادة محمد بك حامد قنصل المملكة المصرية وسعادة حبيب الله عين الملك خان قنصل دولة ايران وممثل القنصلية الاميركية وجلس الى يسار فخامته حضرة صاحب السعادة السر سعيد شفير باشا واللادي قرينته وانسباء المرحوم الدكتور صروف والاستاذ سليم بك مكاريوس أحد اصحاب المقطم والاستاذ جبرائيل بك تقلا صاحب الاهرام وتلا هؤلاء جمهور كبير من الوجوه والادباء وكرام العائلات - بينهم أساتذة الجامعة الاميركية وغيرها من مدارس بيروت وفريق كبير من كرام المصطافين المصريين بينهم سعادة منصور نجيب شكور باشا وغيره ممن لم تتصل بنا اسماؤهم حتى ازدحم بهم نادي الفندق على رحبه . وقد حضر معظمهم خصيصاً لحضور هذه الحفلة من مصايف لبنان المتفرقة . وكان اعضاء اللجنة بملابسهم الرسمية وشاراتهم الخاصة يستقبلون الجمهور ويجلسون كلاً في مكانه ويحافظون على نظام الحفلة . ولما انتظم عقد الحضور وقف الاستاذ جورج باز والقى كلمة تاريخية ذكر فيها نشأة الفقيد وتاريخه والاعمال الكبرى التي عاناها ٥٥ سنة فكانت كلمته تاريخاً مختصراً لاعمال الدكتور صروف الجليلة . ثم تلاه الاستاذ عيسى افندي اسكندر المعلوف بخطاب ممتع فالآنسة ادبل جريديني

بكلمة ملؤها الاخلاص والوفاء فالاستاذ بولس الخولي فصوَّر الفقيد بما هو أهل له وليس من الصعب على الكاتب والخطيب ان يجيد في مثل هذا المقام فان مجال القول متسع جداً بفضل ما ترك الفقيد الكريم من جليل الآثار وما خلفه من المآثر الحسان

ثم انشد شاعر القطرين الاستاذ خليل بك مطران قصيدة من بليغ شعره تؤبل كل بيت منها بخشوع واحترام وترديد ذكرى الراحل الخالد. وكان آخر المتكلمين الاستاذ أمين الريحاني فقال كلمة استرعت الاسماع واخذت بمجامع القلوب اوحتها اليه نفسه الكبيرة وعلمه المدخر وفلسفته الخالدة ومن أولى بالاجادة في الكلام عن الفيلسوف العلامة الراحل من فيلسوف الفريكة المفكر فقد كان خطابه مسك الختام بكل معنى الكلام

ولما انتهى الخطباء من اقوالهم وقف صهر الفقيد حضرة صاحب السعادة السر سيد شقير باشا والقى خطاباً مهماً شكر فيه اللجنة والمحتفلين والحضور اقامتهم هذه الحفلة وخص بكلمات امتنانه فخامة رئيس الجمهورية ورجال حكومته الكرام. وعند انتهاء الحفلة تقدم حضرة رئيس الجمهورية ورئيسا البرلمان والوزراء من حضرة صهر الفقيد وكريمته الفاضلة والسائه مكررين تعازيهم وحذا حذوهم باقي الجمهور الغفير وانصرف الجميع مرددين فضائل الراحل الكريم معددين خدماته الجليلة وآثاره الخالدة مثمنين ان تنجب ارض هذا الوطن من النوابغ العاملين العاملين امثاله

***

وبعد انتهاء الحفلة وصل تلغراف من أسرة الفقيد ومن شريكه واخيه الروحي الدكتور فارس نمر من الاسكندرية يتضمن شكرهم للذين تفضلوا باقامة هذه الحفلة وللخطباء والشعراء الذين رثوا وللذين تكرموا بحضورها دلالة على تقديرهم للعلم ومساعدتهم للساعين لخدمته

—o:o—

لقد حصرت الذكر في هكسلي لانهُ لازم للتوسع في موضوع بحثي . انا نعلم ما كان يشعر بهِ هكسلي نحو اون حينئذٍ لانهُ ذكر ذلك في كتاب ارسلهُ الى اختهِ قبل سفرهِ الى ليدس لحضور اجتماع المجمع اذ قال « أخذت طلائع نضال عنيف تبدو بيني وبين اون العظيم ولا اعلم هل يبلغ النضال مداهُ في ليدس ام لا » . ويسرني ان اجتماع ليدس مضى من غير احتدام النضال بين العالمين ولكنهُ ثابت في عقل هكسلي خطورة المسائل التي يدور عليها هذا النضال متى احتدمت ناره . وموضوع هذه المسائل يدور على « مقام الانسان بين الاحياء »

وبعد سنتين اجتمع المجمع في اكسفرد فاتاح اون لخصمهِ العنيد فرصة للهجوم عليهِ . لان اون عاد فاثبت في اكسفرد ما سبق فصرّح بهِ في ليدس من ان للانسان مقاماً خاصًّا بين الاحياء مبيّناً ان في دماغ الانسان ميزات لا اثر لها في ادمغة القردة الشبيهة بالانسان . فكان ردُّ هكسلي عليهِ موجزاً اذ صرّح ان رأي اون خطأ ووعد ان يثبت ذلك بادلة مفحمة وقد برَّ بوعدهِ . وتلا هذا الاجتماع اجتماع آخر جاء بعدهُ بيومين اذ تناظر اسقف اكسفرد والاستاذ هكسلي في موضوع النشوء فكانت الغلبة التامة فيهِ لهكسلي . فعكف من بعد ذلك على وضع كتاب اصدرهُ سنة ١٨٦٣ وجعل موضوعهُ « إدلة لاثبات مقام الانسان في الطبيعة » وقد اثبت فيهِ اثباتاً ينفي كل ريب لدينا ان مقامهُ في الطبقة العليا من الحيوانات الثديية المعروفة « بالبرغايتس » وان القردة الشبيهة بالانسان اقرب الاحياء اليهِ

وقصدي الآن ان ابيّن لكم القواعد التي يقوم عليها إرأي الذائع بين العلماء في اصل الانسان . فلقد اتاحت لي خطبة السر وتشرد اون في ليدس من ٦٩ سنة ان اذكر مقام هكسلي في تكوين هذا الرأي وتأييدهِ والآن يجب ان احول نظري الى امر آخر لم يذكرهُ السر وتشرد الاَّ الماماً ولكنهُ مهمّ الآن

***

قضى السر وتشرد صيف تلك السنة في لندن يكتب خطبتهُ الضافية التي اشرت اليها كما فعلت انا في هذا الصيف . وكان في اثناء ذلك يراقب اجتماعات الاندية والجمعيات العلمية ليرى ما يجدُّ فيها من الآراء الطريفة . وكان السر تشارلس ليَل والسر جوزف هوكر قد اودعا حينئذٍ في الجمعية الليتوسية رسالتين لم يظهر عليهما انهما تحتويان على شيء طريف ولكنهما كانتا في الحقيقة حافلتين بالآراء الطريفة وكان قد اعدهما رجلان

تبدو عليهما السذاجة التامة هما الفرد رسل ولس وشارلس دارون . على انهُ حبًّا بالانصاف لا بدَّ من الاعتراف بان هذين الرجلين كانا عارفين بمحتويات رسالتيهما وما قد يكون لها من الاثر في قلب بعض الآراء العلمية الشائعة حينئذٍ. فتناول اون هاتين الرسالتين ونظر فيما تحتويان عليهِ من الآراء وخرج من النظر فيهما بان ليس فيهما خطر ما على الآراء الشائعة حينئذٍ ولم يُشِر في خطابهِ شيئاً من القلق اذ مر بولس وداروين مرَّ الكرام ولم يشر اليهما بسوى ذكر طفيف مثبتاً بعبارات من كتابهِ ان الرأي القائل « بالانتخاب الطبيعي » كعامل قوي من عوامل التشوء خطر لهُ قبلاً

ولا يسعني الآن الاَّ التعجب لما اراهُ من الفرق الكبير بين نظرنا اليوم ونظر الجمهور الذي خطب فيهِ السر رتشرد اون منذ ٦٩ سنة في هذه المدينة . كان كل فردٍ من الجمهور الذي احتشد حينئذٍ لكي يسمع خطبة رآستهِ يعتقد اعتقاداً راسخاً ان الانسان خُلق خلقاً منفصلاً . ولكن جمهور العلماء الذين اتشرف بالخطابة امامهم الليلة ، والجمهور الاكبر الذي يصغي الى هذه الخطبة بواسطة التلفون اللاسلكي مستعدون لتصديق القول بان ارتقاء الانسان من رتبة الحيوانات التي تنطوي تحت النوع المعروف « بالبريمايتس » ووصولهُ الى مقامهِ الحالي هو نتيجة لتفاعل القوى البيولوجية التي كانت ولا تزال تؤثر في جسم الانسان ودماغهِ — يقولون ذلك متى اجتمعت لديهم ادلة كافية تثبت لهم ذلك ولو لم يكونوا من اتباع دارون الصميمين

***

ان تغيُّر الرأي في النظر الى اصل الانسان من عجائب القرن التاسع عشر . ولكي نتمكن من السير مع هذا التغير يجب ان نوجه نظرنا الى قرية دوَّن في هضبات كنت لنرى ماكان تشارلس دارون يفعل يوم كان السر رتشرد اون يلقي خطبتهُ المتممة في ليدس . جلس دارون في مكتبهِ يحاول كتابة الفصل الاول من كتاب جديد . ولكن ما من احد رأى ان نشر هذا الكتاب — اصل الانواع — سنة ١٨٥٩ اي بعد انقضاء ١٥ شهراً على خطبة اون سيحدث ثورة كاملة في نظرنا الى الاحياء ويكون فاتحة عهد جديد في اساليب التفكير — ندعوهُ بحق العهد الداروني — ونحن لا نزال في غمراتهِ الى الآن . فلقد كان دارون قائداً محنكاً من غير ان يعلم . فانهُ لم يبدأ معركتهُ الاولى الاَّ بعد ما قضى ٢٢ سنة يحشد لها من الحقائق المتنوعة ما يستطيع ان يدعم بهِ رأيهُ . وبعد ما فازت آراؤهُ فوزاً مبيناً على اثر نشرهِ لكتاب « اصل الانواع » بدأ

حالاً بعدُ كتاباً آخر لتعزيز نصره الاول فاصدر سنة ١٨٦٨ كتابهُ الذي عنوانهُ « التغير في الحيوانات والنباتات التي في دور التدجين » وهذا الكتاب كنز كبير من الحقائق والملاحظات البيولوجية. فلما بحثت قدمهُ تقدم الى هدفهِ الاساسي فنظر في اصل الانسان في كتاب نشرهُ سنة ١٨٧١ وعنوانهُ « تناسل الانسان » واتبعهُ سنة ١٨٧٢ بكتاب عنوانهُ « مظاهر العواطف في الحيوانات والناس » . كم من جندي باسل من جنود الحق حاول الاستيلاء على هذا الحصن العلمي من قبل فلم يفلح فلما اقبل عليهِ داروين القائد المحنك وفي جعبتهِ ذخيرة فتاكة دان لهُ صاغراً

ايخلد عمل داروين هذا ؟

قبل ان احاول الجواب عن هذا السؤال اريد ان انظر نظرة خاصة في كتابهِ « تناسل الانسان » . انهُ كتاب تاريخ — تاريخ الانسان — كتبهُ داروين على طريقة جديدة ابتكرها وجرى عليها . واستحوا لي الآن ان اضرب لكم مثلاً اشرح بهِ طريقة داروين هذه في كتابة التاريخ

نفرض ان عالماً من العلماء اراد ان يكتب تاريخاً لنشوء القرّاجة. فانهُ اذا سار على الطريقة المطروقة في كتابة التاريخ بحث عن كل ما دوّن عنها في الكتب والصحف المعاصرة وغير ذلك من المخطوطات التي يحتمل ان تشير اليها

ولكن اذا فرضنا ان هذا العالم لم يجد وقائع مؤرخة يبني عليها تاريخهُ بل وجد في متحف من المتاحف مجموعة من العربات والآلات القديمة في غير ما انتظام ولا ترتيب فماذا يفعل ؟ عليهِ ان يجري حينئذٍ على الخطة التي جرى عليها داروين في كتابة تاريخ الانسان . انهُ يستطيع ان يقارن هذه الآلات بعضها ببعض مقارنة منتظمة وبعد المقارنة يستطيع ان يستنبط علاقة احداها بالاخرى والترتيب الذي ظهرت فيهِ . ولكنهُ يتعذر عليهِ حينئذٍ ان يثبت التاريخ الذي ظهرت فيهِ انواعها المختلفة والمدة التي بقيت تستعمَل فيها. ان داروين نجح في كتابة تاريخ الانسان لانهُ سار على هذه الخطة الواقعية في اعداد مواده . انهُ جمع حقائق جمة من درسهِ لتشريح جسم الانسان والبحث في طبائعهِ ومقارنتهِ بينها وبين ما لاحظهُ في جسم كل حيوان آخر فيهِ ادنى شبه الى الانسان وما عرفهُ من طبائعهِ . وقف على كل ما عرف في عصرهِ من علم الاجنة وتكوينها ودوّن ما بدا لهُ من وجوه الشبه والاختلاف بين تكوّن جنين الانسان وتكوّن اجنّة الحيوانات القريبة منهُ . ونظر نظرة اهتمام الى تصرف السجة الجسمية الحية في احوال

المرض المختلفة او تحت تأثير الفقر او حين تختلف احوال البيئة التي توجد فيها وكان عليه ان يستنبط تعليلاً لاجناس البشر. انهُ نظر نظراً تحليلياً منطقيًّا في كل هذه الامور فتمكن من ان يكتب تاريخ الانسان راجعاً بهِ الى العصور المتوغلة في القِدَم

لقد انقضت ٥٦ سنة منذ كتب ذلك التاريخ ، اجتمع في اثنائها لدى العلماء كثير من الادلة والحقائق الجديدة فصرنا نستطيع الآن ان نكتب كثيراً من الصفحات في تاريخ الانسان التي تعذرت كتابتها على دارون في عصره وقد تحتم علينا ايضاً ان نغير بعض التفاصيل التي ذكرها — ولكن القواعد التي بنى عليها دارون تاريخهُ لا تزال راسخة رسوخ الجبال — لا بل ان مركز دارون الآن من المتانة بحيث اعتقد انهُ لن يتزلزل

لماذا اقول وملء قولي الثقة واليقين بان مقام دارون ثابت لا ينالهُ منال ؟ اقول ذلك لاني اعلم ما حدث بعد وفاته سنة ١٨٨٢ . لقد اتيح لنا بعد ذلك ان نتتبع تاريخ الانسان بواسطة آثاره المتحجرة وادواته الحجرية الى ان بلغنا فاتحة ذلك العصر المعروف بعصر البلستوسين (من نحو مليون سنة) فوصلنا الى عهد في تاريخ الانسان يبعد عنا نحو ٢٠٠ الف سنة الى ٦٠٠ الف سنة . لا بل قد توغلنا اكثر من ذلك في احشاء التاريخ الى العصر الذي سبق عصر البلستوسين وهو عصر البليوسين. فان الدكتور اوجين ديبوى عثر على آثار متحجرة لما يُعرف الآن بالفرد الانساني واسمهُ العلمي « پثكانثروپوس » في طبقات جيولوجية نُضدت في اواخر عصر البليوسين بجزيرة جاوى وكان ذلك بعد انقضاء ١٠ سنوات على وفاة دارون. وكشف المستر ريد موير في طبقات من عصر البليوسين ادوات حجرية غير دقيقة الصنع . فاذا صحَّ ما قالهُ دارون وجب ان تكون آثار الانسان اقرب الى الشكل الحيواني كما توغلت في القدم. وهذا ما ثبت لنا . ولكن اذا حسبنا ان پثكانثروپوس بدماغهِ الحاوي لميزات الدماغ الانساني على صغره ، ممثلاً للبشر الذين عاشوا في عصر البليوسين تحتم علينا القول بان الشوء سار سيراً سريعاً حتى بلغ الناس ما بلغوهُ في هذا العصر

(التتمة في الجزء القادم)

—٥٠٥—

الجداول

للشاعر العربي الاميركي ايليا ابي ماضي

١ — الفلسفة

أرأيت الجداول والبيدار يدفعها كيف تنساب في الارض مطردة الجريان عاجزة عن القرار في جبل أو الثبوت في سهل ؟ فمثلها مثل ايليا ابي ماضي افندي اذ يعتقد ان قوة خارجية حركته فمضى منطلقاً قدماً وسيظل في طريقه حتى حين وهو عاجز عن اقرار رأيه في امر دينه او في امر دنياه

ان ايليا ذاهب في الفلسفة مذهب اولئك الحيارى الواقفين من الخليقة ولواميسها وما وراءها موقف الرجل الجاهل المعترف بجهله فان سألتهم عن الامر القائم من دون شرط ولا حد كمثل المادة او بداية الكون ونهايته اجابوك لسنا ندري لان هذه الامور تفوق ادراك البشر

كل ما تقصر المدارك عنهُ كائن مثلما الظنون تشاء[1]

وهذا الضرب من الفلسفة يقال لهُ عند الافرنج Agnosticisme وقد ترجمهُ المرحوم الدكتور صروف الى العربية باللاأدرية . على انك اذا قرأت في « الجداول » قصيدة « الطلاسم » فوجئت بالمطلع :

جئتُ لا أعلم من أين ولكني أتيتُ
ولقد ابصرت قدامي طريقاً فمشيت
وسأبقى سائراً ان شئت هذا أو ابيت
كيف جئت ؟ كيف ابصرت طريقي ؟ لست أدري[2]

فهو يجهل أنى مصدره وأنى مصيره معتقداً أن قوة خارجية حركته فمضى وسيظل يمضي حتى حين . ثم انك تراه يقرُّ في الابيات التالية انهُ لا يدري أحديث العهد في الدنيا ام قديمهُ امن العدم تكون ام من المادة . وانك لتراه يناجي البحر والمقابر والقصر والكوخ والدير ملتمساً منها حلَّ الطلاسم التي دقت على ذهنه ولكنهُ كلما ازداد اقتراباً منها ازداد بعداً عنها وبين جنبيه اليأس والحيرة . وقد اذكرني هذه الحال النفسانية

(١) الجداول ص ١٣ (٢) ص ٨٩

الشاعر الفرنسي (سولي برودوم) وهو يعترف في قصيدة لهُ عنوانها « الشك » بأنهُ ما فكر ساعة في مظاهر الدنيا وخفايا الآخرة الا يئس من الخلوص الى كنهها ولكن ابا ماضي لا ينكر على نفسهِ جوهرها مع جهله لهُ

لي ذات غير اني لست ادري ماهيه
فمتى تعرف ذاتي كنهَ ذاتي؟ لست ادري[1]

وهو يجهل جوهر نفسهِ لانهُ لا يلمسهُ فانهُ وضعيٌّ Positivist . هذا وان مذهب الوضعية مرتبط بمذهب اللاادرية . فان (كونت) و (هربرت سبنسر) كانا جامعين للمذهبين فاذاً ابو ماضي لا يركن الى الامر حتى يقع تحت حسهِ

ان صدقاً لا احسُّ بهِ هو شيء يشبه الكذبا
لا ينجّي الشاة من سغب انَّ في ارض الحمى عشبا[2]

هل يؤمن ايليا بالبعث وبالآخرة ؟ لا فهو كأبي العتاهية ان صح مازعمهُ فريق من ادباء العصر العباسي

— ما لحي بالموت عنهُ[3] اقتصار ان دنياه هذه اخراه[4]
— فمن حسب العيش ديناً واخرى فذا رجل عقلهُ احمولُ[5]

وزد على ذلك ان ابا ماضي يستسلم الى القضاء ولا عجب ان فعل فانهُ شرقي وفي النفس الشرقية بل في معظم التقاليد الشرقية وعقائدها اذعان للقدر . ثم ان ابا ماضي ينفي حرية النفس واختيارها :

سدتَ او لم تسدْ فما انت الا حيوان مسيَّرٌ مستعبدْ[6]

ثم ان ايليا متشائم من الدنيا حاقد عليها جرياً على فلسفة (شوبنهاور) الالماني، نفور من اهلها نفور ابي العلاء منهم و (الفريد دي فيني) الشاعر الفرنسي . فهو آخذ على الناس رثاءهم وكذبهم وتيههم وانانيتهم واكرامهم الغير لمصلحتهم الشخصية . على انك تراه بعد ذلك يتمرد عليهم فيصبح بلشفيًّا مرَّ اللسان مقتول الساعد :

انت مثلي من الثرى واليهِ فلماذا ياصاحبي التيه والصدّ
قبر واحد يطل علينا وعلى الكوخ والبناء الموطدْ
ايها الطين لست اتقى واسمى من تراب تدوس او تتوسد[7]

(١) ص ١١٢ (٢) ص ١٥ (٣) الضمير راجع الى الكون (٤) ص ٦٤
(٥) ص ٢١ (٦) ص ٢٧ (٧) ص ٢٤ و ٢٧

وأني تمثلت وقصيدة « الطين » هذه بين يدي بيت للمعري

لو يعرف الانسان مقداره لم يفخر المولى على عبده

***

هذه فلسفة ابي ماضي. غير انك تراها تتراوح النزعات من اللاأدرية الى الوضعية والدهرية والاستسلام الى القضاء والتشاؤم والبلشفية ثم اضف الى هذا الايمان بوجود الله :

اراد الله ان لعشق لما اوجد الحسنا

مشيئتهُ . . . وما كانت مشيئة بلا معنى [1]

٢ — الشاعرية

ان ابا ماضي شاعر ابتداعي Romantique استناداً الى ترجمة الشيخ الزيات. وقد وفّق الشيخ في ترجمته الا قليلاً ولكن الجدل في هذا الباب ليس من شأننا هنا اي الشعراء الشاعر الابتداعي وما ابتداعهُ وما طريقتهُ أهو من عدل عن اسلوب الشعراء الاقدمين ونهج لنفسه منهجاً تتاح اليه طبيعتهُ ولقد تمتاز طبيعة هذا الشاعر اولاً — بالاحساس الحاد وربما بلغ هذا الاحساس مبلغاً جاوز الحد فصار مرضاً نفسياً ثانياً — بالمخيلة الواسعة الشاذة الخارجة عن إعمال الروية ومناسبة الواقع. ثالثاً — ببسط احوال النفس. والمعلوم ان ميزة الشاعر الابتداعي محاولتهُ الفرار من العالم الدنيوي الى العالم الروحاني

وانك لتجدنّ كل هذه الصفات في شعر ايليا ولو لم تكن لكانت « الجداول » ديواناً حافلاً لطول تردد الفلسفة بين دفتيه ، فكثيراً ما يحدثك ايليا عن كرب نفسه وانقباض صدره ثم انظر اليه وهو يصرح لك في قصيدته « انا » انهُ يعفُّ عن الشر والانتقام ويشد من عزم صديقه ويتجنب الخيلاء والطموح راضياً بما قسم له الله. ثم انهُ يقول في قصيدة « الموسجة »

وبنفسي الف معنى لم يضمن في كتاب [2]

وهذا قول حق فلكل منا ولا سيما الشاعر معان مطوية لن ينشرها ناشر

ان ايليا شديد الاحساس حتى لانهُ يذوق اللذة في الحزن

انا من قوم اذا حزنوا وجدوا في حزنهم طربا [3]

وان لهُ خيالاً جميلاً يخالطهُ شيء من الرقة

عصر الاسى روحي فسالت ادمعاً فلمحتها مدلتها في ادمعي [4]

(١) ص ١٨ (٢) ص ٧٤ (٣) ص ١٦ (٤) ص ٨

ثم ان لهُ خيالاً يستمده من روعة الطبيعة التي يستأنس بها كما صنع من قبل ابن الرومي وابن المعتز وشعراء الانجليز« البحيريين» Lakistes ومن سلك مسلكهم من شعراء المانيا وفرنسا

— وليلُ الليل راهبي وشموعي الشهب والارض كلها محرابي (١)
— السحب تركض في الفضا ء ارحب ركض الخائفين
والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين (٢)
— ان لليل دموعاً لا تراها مقلتان (٣)

وربما اعتسف الخيال فركب رأسهُ فيه

غير انك تجد لابي ماضي مذهباً في الشعر غير المذهب الابتداعي . فانهُ كلفٌ بالشعر الرمزي Symbolisme (٤) كلف ابن الفارض به وكان هذا المذهب قد شاع في فرنسا قبل انتهاء القرن التاسع عشر .الا ان ابا ماضي كثيراً ما يتكلف المعنى في هذا الضرب من النظم فيقصر البيت عن اداء الفكرة فيعمى القارىء عن استيضاحها. وشأن ابي ماضي في الغموض شأن شاعر فرنسي رمزي يقال له (اسطفن مالارميه) وكان مطالع ديوان الرجل يطرب لنظم الشعر وصوره مهملاً تفسير رموزه

***

دعني بعد ما بسطت لك فلسفة الشاعر وشاعريتهُ اطلعك على ما راقني في ديوانه من معان وصور لا تخلو من جرأة في الابتكار

— لكن بامر الحب قلبك طافحاً في ذاته (٥)
— كان في صدري سرٌ كامن كالافعوان (٦)
— والهم الاسود يحتشدُ طبقاً في الجو على طبق
والليل يطول ويطرد والارض كسارٍ في قلق (٧)
— فتشت جيب الفجر عنها والدجى ومددت حتى للكواكب اصبعي (٨)
— واجل منهنَّ (٩) الفراشات في الضحى لها كالاماني سكنة ووثوب (١٠)
— فتح الموت حين اغمض عينيه عيونَ الورى على حسناته (١١)

(١) ص ٢٩ (٢) ص ٣٢ (٣) ص ٤١ (٤) كقصائده « النقاب » « الاشباح الثلاثة » و« ريح الشمال » و « الحجر الصغير »و « ابن الليل » وغيرها (٥) ص ٣٧ (٦) ص ٤١ (٧) ص ٦٩ (٨) ص ٥ (٩) الضمير عائد الى نثيات القصر (١٠) ص ١٠ (١١) ص ٨٨

ومعنى هذا البيت قديم في صيغة جديدة حلوة الاستعارة. قال الشيخ ناصيف اليازجي

لا يحمد القوم الفتى الا متى مات فيعطى حقه تحت البلى

الا اني استهجنت غيرها :

—يا صاحبيّ وفي حنايا اضلعي همٌ يكظّ الروح بل يدميها [1]

—ساعة في الخلاء خير من الا عوام تقضى في القصر والاحقاب [2]

وهذا البيت تشويه للبيت المشهور :

ليت تنفخ الارياح فيه احب اليّ من قصر منيف

٣ — الغزل

الغزل فنٌّ قائم بذاته غير تابع للمذاهب الشعرية بل تابع لنفسية الشاعر وروح بيئته . فاما غزل ابي ماضي فبضاعة قليلة جدًّا والسبب في ذلك اولاً انهُ منصرف الى الفلسفة والفلسفة علم جامد والغزل كلهُ عاطفة. ثانياً انهُ متزوج والزواج وان كانت عروتهُ الحب لا يتفق مع التشبيب .فان ضروب الشق غير واحد ولكنها احدها يوحي الشعر فقط وهو الذي انطق (هوجو) و(لامرتين) مع انهما متزوجان . واني إخال ابا ماضي بنجوة عن هذا الضرب فما لهُ في التشبيب سوى قصيدة « تعالى » والغالب في ظني انها رمزية : يريد الحب ان تضحك فلتضحك مع الفجر

وان تركض فلتركض مع الجدول والنهر

وان تهتف فلتهتف مع البلبل والقمري

فمن يعلم بعد اليوم ما يحدث او يجري [3]

وهي كما ترى تهتف بالحب وتطمئن الى الطبيعة. واما نوع هذه القصيدة فاحد انواع الشعر الاغريقي القديم المعروف بشعر الرعاة Bucolique او شعر الغاب Pastorale وقد ذهب فيه ابن الرومي قليلاً واولع به (اندريه شنيه) الشاعر الفرنسي فبلغ به شأواً بعيداً ونحا نحوهُ (لامرتين) من دون تقليد في قصيدة أودعها روح عصره السقيمة. ثم ان بين قصيدة (لامرتين) او بعضها وبين قصيدة ابي ماضي وجهاً من الشبه الا ان ايليا يبرز في القصيدة نفسها رجلاً ابيقورياً مبادراً كابي نواس الى اللذات:

تعالى نسرق اللذا ت ما باعدنا الدهر

وما دمنا وما دامت لنا في العيش آمال [4]

(١) ص ٣٩ (٢) ص ٣٠ (٣) ص ١٩ (٤) ص ١٨

او ما يعرض لك وانت حيال هذين البيتين قول ابن الرومي :

فبادر الدهر بالناعم واللذ ات واحذر من وشك مرتحل

او قول الشريف الرضي :

وبادر الى اللذات فالدهر موئل بتغيص عيش واصطلام علاء

٤ — الذوق

صبَّ ابو ماضي ما خطر لهُ من المعاني والصور والاستعارات في قالب بالاجمال عربي الحد لله .على ان مدرسة اميركا غشيتنا لعشرين سنة مضت ومعظم انصارها يهملون اتقان العربية وهاهم اليوم فطنوا أن التصانيف لا تخلد الا اذا حلا اللفظ الفكرة وان اغفال اللغة والتهاون بقواعدها نقص وعيٌ لا بدعة ومقدرة

فان ديوان ابي ماضي مصنف عربي ما خلا بعض سقطات لغوية (منها كسى، مُسَدل،مهاب،ارتهاب ، شاركهُ به ، جزع لهُ وعليهِ بمعنى،اوقفهُ ،ضُمِّن في الكتاب) وعدة تراكيب سقيمة مع شيء من القصور عن اختيار الالفاظ (أكان غنيًّا ام قويًّا ،واذا بالسرّ، وقت جميل، لا تراهُ مقلتان ، خرّ العصفور الى الارض ، املأ الكاس على ذكركم والمراد نخبكم ،اوجدالله الحسن وتقول العرب كوَّنهُ وسوَّاهُ)

وفي الديوان ابيات معقدة واليك :

ما على من لا يطيق برق نوَّر الوادي او اكتأبا (١)

هذا وان المقطوع « قطرة الطل » افصح ما ضمتهُ « الجداول » .ثم ان ايليا تصرف في النظم تصرفاً لا بأس بهِ ولكنهُ زلات في الوزن كخلط الهزج بمجزوء الوافر

٥ — الخاتمة

وختاماً ان ايليا ابا ماضي شاعر ملء جوانحهِ الشعور والاحساس لطيف الخيال وغريبهُ ، صاحب مذهب فلسفي مضطرب المبدأ واغرب من غريب خياله ، حديث الطريقة مقتبسها عن الفرنج منفرد بانشائهِ خارج فيهِ عن المألوفِ بعض الخروج حيناً وكلهُ حيناً آخر . يدان لهُ شخصية بارزة تستطيع ان تلمسها من خلال منظوماته وان لم يكن له الا هذه السجية فحسبهُ لان الشعراء الذين يسوت شعرهم بنفسيتهم معدودون عندنا واني اعرف جلهم ولكن اهل الادب يستخفون بدواوينهم لطول عهدهم بغيرها و لتقصر باعهم عن الاتيان والله بمثلها مصر الجديدة ادوار فارس

(١) ص ١٥

الصحافة في اليابان

تضاهي صحافة أرقى الامم الغربية

صحافة كل شعب مرآتهُ ، تقرأ بين سطورها احوالهُ وتلمس في عباراتها آمالهُ وترسم من اخبارها صوراً حية من حياته الفردية والاجتماعية

وهي كذلك قوة من قوى العمران الحديث . لكنها لا تكون قوة نافعة محترمة الجانب في بلاد راقية ولا تستطيع ان تقود رأياً عامًّا مستنيراً في شعب ناهض ما لم تعتمد في كل ما تكتبهُ وتنشره وتبديهِ من الآراء على القول المخلص الناتج عن الروية والعزم ، والعاطفة الشريفة يلطفها العقل الراجح والحكم المتدل ، والبداهة المصقولة بالاختبار ، والاستقلال القائم على السعي في سبيل النفع العام

كنا نحسب ان صحافة تتصف بهذه الاوصاف عنقاء مغرب ، على أننا عرفنا في زيارتنا الى الولايات المتحدة الاميركية منذ ثلاث سنوات والى بلاد الانكليز في الصيف الماضي أن في كلا البلادين صحفاً سائرة في السبيل السوي لتحقيق هذه الغايات الرفيعة. وقد اطلعنا الآن على مقالة عن الصحافة في اليابان نشرتها مجلة آسيا الاميركية وكتبها احد الصحافيين اليابانيين الذي ماشى ارتقاء الصحافة في بلاده فدهشنا لما اصابتهُ صحف اليابان الكبرى من رقي وانتشار وما لها من اثر في تهذيب الامة اليابانية وترقيها. ولدى المقارنة وجدنا ان صحافة الولايات المتحدة وانكلترا لا تفوقها في شيء. فآثرنا ان ننقل خلاصة هذه المقالة الى قراء المقتطف دليلاً على ما بلغتهُ امة شرقية من الرقي في ناحية من الحياة الاجتماعية تحسب من اكبر النواحي مقاماً في العمران الحديث . قال الكاتب

كان من اصعب الامور عليَّ ان اقنع كثيرين من اصدقائي الاميركيين المتعلمين ان لدينا في اليابان صحفاً راقية يبلغ ما تطبعهُ الصحيفة منها نحو مليوني نسخة في اليوم مع انها لا تعالج في ما تعالجهُ من المباحث الا الموضوعات الرزينة من مالية وسياسية وادبية وغيرها ضاربة صفحاً عن اساليب الصحافة الصفراء التي تعمد الى قصص الجرائم والطلاق وغيرها فتنشرها في صفحات الجرائد الاولى طلباً لسعة الانتشار. ويزيد ارتيابهم في قولي حين اقول لهم ان دخل احدى هذه الجرائد يبلغ نحو ١٢ مليون ريال في السنة او نحو مليونين ونصف مليون من الجنيهات نحو عشرها ربح صافي

احدى غرف التحرير في جريدة « طوكيو نيتشي نيتشي »

لاحظ كثرة المحررين وانتظامهم واتقان الترفة من حيث ترتيب المقاعد والنوافذ والمصابيح الكهربائية

مقتطف نوفمبر ١٩٢٧

امام الصفحة ٣٦٨

ومنشأ هذه الرية ان مساحة بلاد اليابان لا تزيد على مساحة ولاية واحدة من ولايات اميركا كولاية كاليفورنيا . وسكانها ٦٥ مليوناً مع ان سكان الولايات المتحدة الاميركية يربون على ١١٥ مليوناً . فكيف يتاح لهذه البلاد الصغيرة اذ قيست مساحة وسكاناً بالولايات المتحدة الاميركية صحف تفوق اكبر الصحف الاميركية اليومية سعة انتشار ؟ ومع ذلك ففي اليابان ١١٣٧ صحيفة يومية و ٢٨٥٠ صحيفة اسبوعية وشهرية ومجموع ما يطبع من الصحف اليومية ويوزع على قارئيها يبلغ عشرة ملايين نسخة في اليوم او نسخة واحدة لكل ستة من السكان

والسر كل السر في ذلك هو انتشار التعليم في كل طبقات الشعب . فقد قدر ان ٩٨ في المائة من طلاب المدارس الابتدائية في اليابان ينتظمون في سلك المدارس الثانوية وقد بلغ عدد المدارس في اليابان من ابتدائية وثانوية وعالية نحو ٤٤ الف مدرسة يبلغ عدد طلابها في السنة ما يربي على عشرة ملايين طالب ونصف مليون

وزد على ذلك ان اليابانيين يقبلون على المطالعة اقبالاً لا مثيل له في ما اعلم . ففي سنة ١٩٢٥ طبع ونشر في اليابان ١٨٠٨٢ كتاباً مختلفاً تتناول كل فروع العلم والفلسفة والادب واستورد تجار الكتب من الكتب الانكليزية والاميركية والفرنسوية والالمانية والصينية ما قيمته نصف مليون جنيه فيمت كلها . وكل اصحاب الصحف في اليابان يعرفون حق معرفة ان طابعي الكتب وناشريها والمتجرين بها هم اكبر المعلنين في اليابان ينفقون نفقات طائلة للاعلان عن كتبهم ولا يدانيهم في كثرة الاعلان اصحاب تجارة أخرى .

فكثرة طلاب العلم وحب اليابانيين للمطالعة واقبالهم عليها هي اكبر العوامل في سعة انتشار الصحف اليابانية

***

لقد مر بنا ان عدد النسخ التي تطبع من صحف اليابان اليومية يبلغ عشرة ملايين ويربي عليه . ونحو نصف هذا العدد تطبعه عشر صحف كبيرة تصدر في طوكيو واوساكا اكبرها جريدتان تابعتان لشركة « اوساكا ماينيشي » أولاهما تدعى « اوساكا ماينيشي » تطبع نحو مليون وثلاثمائة الف نسخة في اليوم والثانية تدعى « طوكيو نيشي نيشي » ويطبع منها ٨٠٠ الف نسخة في اليوم . ويليهما جريدتان تابعتان لشركة « اوساكا اساهي » احداهما تصدر في اوساكا وتدعى اوساكا اساهي والثانية

تصدر في طوكيو وتدعى « طوكيو اساهي » ومجموع ما يُطبع منها مليونا نسخة في اليوم . ولا اعرف في ما عرفتهُ عن الصحافة الغربية جريدة تفوق « الاوساكا ماينيشي » في سعة انتشارها الا جريدة الديلي ميل بلندن وجريدي الجورنال والبتي باريزيان في باريز واذا حسبنا ان جريدة طوكيو اساهي ليست الا طبعة اخرى من جريدة اوساكا اساهي فلا نعلم جريدة اخرى توازيها في سعة انتشارها . ويلي هذه الصحف الاربع ست صحف يتباين عدد النسخ التي تطبع من كل منها يوميًّا من نصف مليون نسخة الى مائة الف نسخة

وفي اليابان صحف انكليزية اكبرها واوسعها انتشاراً جريدة تنشرها شركة « اوساكا ماينيشي » تصدر في ثماني صفحات وأخرى يصدرها نفر من الاميركيين في طوكيو تدعى « المجلّ الياباني » واكثر انتشارها بين الجوالي الغربية ولاحد الانكليز جريدة تدعى « كوبي كرونيكل » ينتقد بها اعمال الحكومة . وهناك جريدة اخرى تدعى « طوكيو تيمس » كانت قبلاً بوقاً للحكومة تنفخ فيه ما تشاء ومتى تشاء ولا تُعلم علاقتها بوزارة الخارجية الآن

***

وأشد الصفحات غرابة في تاريخ الصحافة اليابانية وأبعثها على الاعجاب وأدلها على تقدمها هو تاريخ المنافسة بل قل تاريخ الحرب السلمية الصامتة بين شركة « اوساكا ماينيشي » وشركة « اوساكا اساهي »

فمنذ ست سنوات شيدت شركة أوساكا ماينيشي بناية فخمة من خمسة ادوار انفقت على تشييدها ربع مليون جنيه وقيل حينئذ انها من أكمل المباني الصحافية في العالم وتبعتها جريدة طوكيو بشي نيشي وأقامت بناية في طوكيو اصغر منها حجماً ولكنها تفوق كل مباني طوكيو الصحافية سعة ونظاماً وفخامة وجريدة طوكيو اساهي على وشك ان تنقل الى بنايتها الجديدة في طوكيو وهي على مقربة من محطة السكة الحديد الكبرى وتتألف من ثماني طبقات وقد انفقت على اقامتها ٣٠٠ الف جنيه

وفي سنة ١٩٢٤ بعثت جريدة الماينيشي بطيارتها الماثية في رحلة جوية حول جزائر اليابان فبعثت جريدة « اوساكا اساهي » وبعثت طيارة على حسابها من طوكيو الى باريس وقد ابتاعت جريدة الماينيشي في السنتين الاخيرتين خمس طيارات تنقل بها ما تحتاج الى نقله بين مكتب طوكيو ومكتب اوساكا من الانباء والصور وغيرها فشاعت

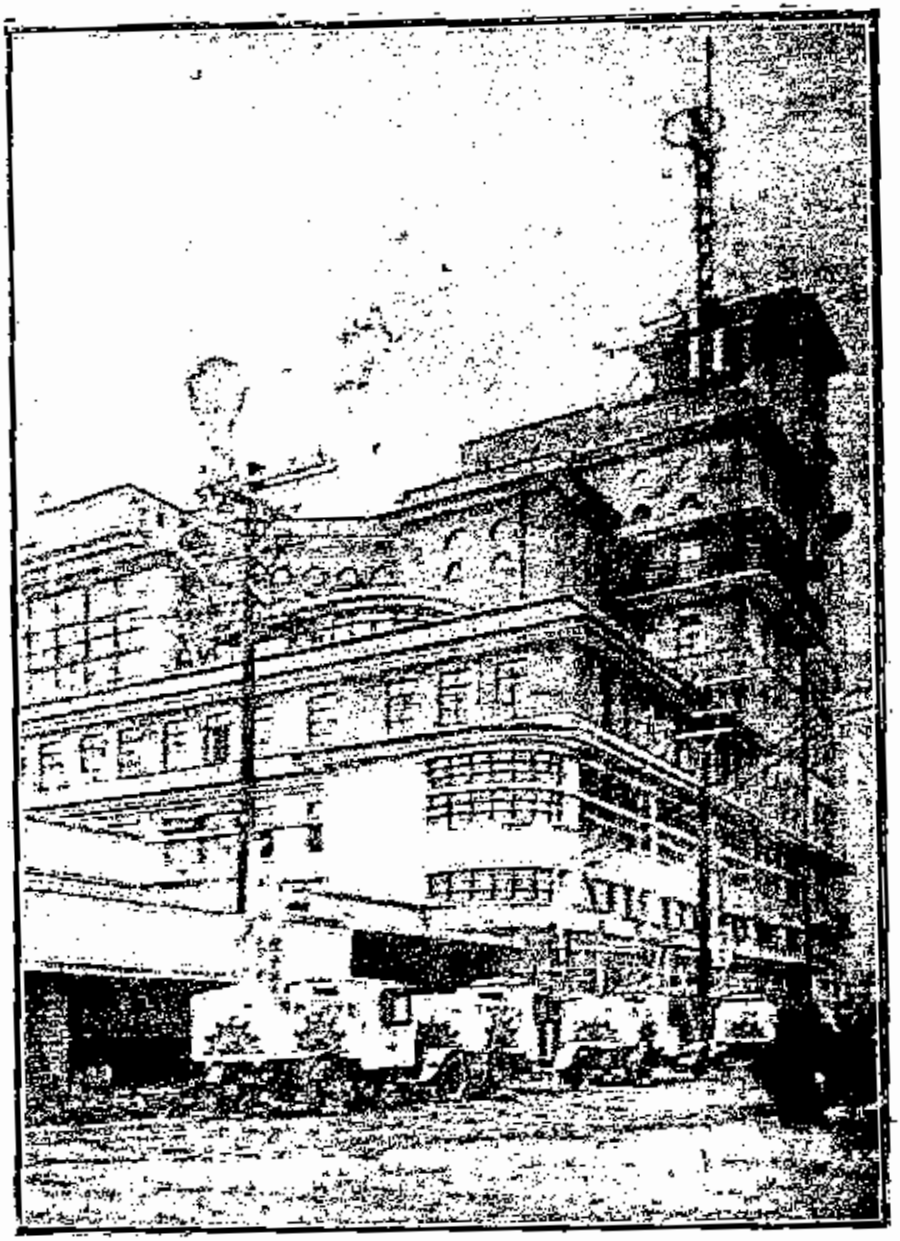

بناية طوكيو اساهي وهي من اهم صحف اليابان وامامها لسيارات لتوزيع الجريدة
ملتقطة نوفمبر ١٩٢٧

امام الصفحة ٣٢٠

جريدة اوساكا اساهي ان تناظرها في ذلك فاشترت طيارات وانشأت بريداً جويًّا منتظماً للحكومة بين مدينتي اوساكا وطوكيو وبين طوكيو وسنداي

والمزاحمة الشديدة بين الجرائد تعود بالفائدة على الجمهور . لانهُ اذا اصدرت احدى هذه الصحف طبعة مسائية منها ووزعتها مجاناً على المشتركين تبعتها الاخرى وفعلت فعلها . واذا أصدرت احداها ملحقاً محليًّا في القرى والارياف حيث يكثر انتشار الجريدة فعلت الاخرى فعلها . واصدار الملاحق مما تمتاز بهِ الجرائد اليابانية فجريدة الماينيشي مثلاً تصدر في اليوم ١٣ ملحقاً تنشر فيها بعض الاخبار المحلية . وهذه الملاحق تصدر في بلدان الارياف وتحتوي على ما يهم القراء في هذه البلدان . وما ينشر من الاخبار في بلدة ما لا ينشر في ملحق يصدر في بلدة اخرى . وكل هذه الملاحق توزع مجاناً على المشتركين وزد على ذلك ان المشتركين في المدن الكبيرة كطوكيو واوساكا وغيرهما تصلهم الملاحق التي تطبع وتنشر في الحوادث الكبيرة كنشوب حرب او حدوث زلزال او تفشي وباء او موت الامبراطور . وقد يكون الملحق الياباني قطعة ورق صغيرة لا تحتوي الا على خبر موجز فيحملهُ باعة الصحف وينطلقون في الشوارع ينادون حتى لتحسب انك في يوم الحشر فتشتري النسخة رغماً عنك لئلا يلتهي العالم وأنت لا تدري

ولما كانت المزاحمة شديدة كما تبين لك وجب على اصحاب الصحف ان ينفقوا نفقات طائلة في جمع الاخبار من كل انحاء العالم . فقد انفقت شركة اوساكا ماينيشي وطوكيو نيشي نيشي اربعة واربعين الف جنيه على جمع أخبار الزلزال الياباني الكبير الذي حدث في سبتمبر ١٩٢٣ سواء كانت تلك الاخبار مقالات أو صوراً فجردت جيشاً من المخبرين والمصورين لنقل الاخبار والصور من مختلف الانحاء التي اصيبت بفواجع الزلزال الى اوساكا لان اسباب المواصلات والمخابرات كانت قد تعطلت — ولما كانت البلاد تمور بفعل الزلزال كانت هذه الشركة قد بعثت اخبار الفاجعة وصورها الى أنحاء البلاد حتى الى كوريا وجزيرة فورموسا وبعض هذه الصور كان من قبيل الصور المتحركة

وزد على ذلك فان جريدتي الماينيشي والاساهي لا تعتمدان كل الاعتماد على السكة الحديدية او الطيارة او سلك التلغراف . فقد تقع الطيارة وتتحطم وقد يصطدم القطار بقطار آخر وقد تنقطع اسلاك التلغراف فيؤخر ذلك كلهُ وصول الاخبار الخطيرة وسرعة نشرها . لذلك ترى اصحابها حافظين عدداً كبيراً من الحمام الزاجل فيسير الحمام مع مخبر ذهب لوصف حادثة خطيرة او مع صبي يحمل في طيارته اخباراً او صوراً كبيرة الشأن

فاذا حدث للمخبر او للطيار ما عاقهما عن القيام بمهمتهما حمّلا الحمام رسالتهما فينقلها الى مكتب الشركة في اوساكا

ودلّ الحوادث على ما بين هاتين الشركتين من المزاحمة وما يبتغيانه من العناية في توقع الاخبار الخطيرة والاسراع في نقلها ونشرها ، حادثة جرت حين اذيع في اليابان في سنة ١٩٢٦ ان امبراطورها في حالة النزع . ففي شهر اغسطس من تلك السنة قبلما بلغت صحة الامبراطور مبلغاً خطراً استأجرت كل من هاتين الشركتين دارين على مقربة من قصر الامبراطور واخذتا تحشدان فيهما المخبرين كأن الدارين مركزان لقيادة جيشين يستعدان لمعركة فاصلة. فاعدّت كل من الجريدتين المعدات اللازمة من تلفونات وآلات تصوير وحمام زاجل وموتوسيكلات وطيارات. وبلغ عدد المحررين والمخبرين وغيرهم من جريدة الاساهي ستين شخصاً في دسمبر . ولم يكن رجال الماينيشي اقل من ذلك. وكل ذلك لكي تسبق احدى الجريدتين مزاحمتها في نشر خبر وفاة الامبراطور . وهذا يدلك ايضاً على ما يعلقهُ الجمهور الياباني من الشأن الكبير على اخبار الاسرة المالكة

اما عدد المحررين والمخبرين وغيرهم من موظفي قسم الادارة والطبع والنشر وغيرها فيبلغ الفين واربعمائة وخمسة وستين موظفاً في شركة الاوساكا ماينيشي التي تصدر جريدتين يابانيتين وجريدة انكليزية وبضع نشرات دورية من هؤلاء ٤٠٥ كتاب في قلم التحرير و٣٦٠ في قسم الادارة و١٢٠ في مكاتب الجريدة المنتشرة في الارياف و٨٥٨ في قسم الجمع والطبع و٤٥٧ للخدمة و٢٥٦ في قسم الترحيل والبوستة. والبناية التي يقيم فيها اكثر هؤلاء كبيرة تشتمل على مطعم ومخزن حلاق وغرف حمام ومرصد وبهو لالقاء الخطب ومكتبة واسعة وغرف لاستقبال الزائرين . هذا عدا اقسام التحرير والجمع والطبع والادارة. وينتظر ان تكون بناية طوكيو اساهي اضخم من بناية الماينيشي واحدث طرازاً

اما طريقة جمع الاخبار في الصحافة اليابانية فشبيهة بالطريقة الاميركية والاوربية. ذلك ان هناك شركات عملها جمع الاخبار بواسطة مراسليها ومكاتبها كشركة رويتر وشركة « الاسوشيتدبرس » وكل جريدة تشترك في احدى هذه الشركات يحق لها ان تنشر الاخبار التي تجمعها . وللصحف الكبيرة مراسلون ينقطعون لمراسلتها ولها مراسلون يابانيون في اكبر مدن اوربا واميركا واسيا لان اصحاب هذه الجرائد يؤثرون نشر الاخبار المهمة كما يراها ابناء بلادهم لا كما يراها ابناء الغرب . ولكن الصحف اليابانية تقدّم الانباء اليابانية بوجه عام على الانباء الدولية .

العلم والدين

١

خطبة اسقف برمنغهام في دير وستمنستر

على اثر الخطبة النفيسة التي خطبها السر ارثر كيث في مجمع تقدم العلوم البريطاني وعرض فيها لمذهب دارون في اصل الانسان فايّدهُ ، جاول بعض الكتّاب ان يثير حول الموضوع عجاجة النزاع القديم بين العلم والدين . الا ان رئيس اساقفة برمنغهام خطب في دير وستمنستر خطبة ضافية في هذا الموضوع كان لها صدى كبير في اندية المفكرين ومحافلهم نقتطف منها ما يلي قال : —

ماذا اقول لابناء هذا العصر ؟ أأقول لهم تملقوا باهداب المعتقد القديم ؟ كلا بل اقول لهم اطلبوا الحق . تهللوا لانكم ابناء عصر من اعظم العصور مقاماً في التاريخ من حيث ارتقاء العلوم . رحّبوا بالمكتشفات الجديدة واحترموا مكتشفيها . ولكن اذكروا ان وراء كل هذا التقدم لا تزال ترى ستاراً كثيفاً يغشى كل مسائل الحياة الاساسية فيحجب عنا حقيقتها . فعليكم ان تقتربوا من هذه المسائل وملء قلوبكم ايمان رائدهُ العقل . واني لارتاب كل الارتياب ان كان ايمانكم حينئذٍ يختلف عن ايمان الرجال الذي وعظوا او سجدوا في هذا المعبد

اما فيما يتعلق بالخطبة التي خطبها رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني فماذا يجب ان نفعل ؟ ماذا يجب ان يكون موقفنا ازاء مذهب النشوء . اسنحجب الحقائق الواضحة بستار كثيف من الجدل يحجبها عن انظارنا ؟ انكم لا تستطيعون ان تتجاهلوا هذه الحقائق وتكونوا من ابناء هذا العصر النيّر

أيجدر بنا ان نخلق في عقول الناس ريباً حيث لا مجال للريب ؟ انحوّل تاريخ المعتقد المسيحي لكي نستنبط منهُ ما يمكننا من القول بان مذهب دارون ليس جديداً ؟ ام يجدر بنا ان نستقبل الحقائق الجديدة مقرّين بان بعض الآراء التقليدية في المعتقد المسيحي يجب ان يناها بعض التغيير ؟

اني اعتقد ان السبيل الاخير هو سبيل الحكمة والرشاد . فلنستقبل الحقائق كما يثبتها البحث العلمي غير هيّابين ولا وجلين . ان بين رجال العلم اتفاقاً على ان الانسان

ارتقى من اصل قردي وقد يكون ارتقاؤهُ بدأ منذ مليون سنة من اصول قردية متصل بعضها ببعض . أخذت هذه الاصول الحيوانية تتغير وترتقي في نواحٍ مختلفة وكان معظم هذا التغير في الانسان في دماغهِ وخصوصاً في مراكز تداعي الافكار . ففاق بذلك سائر الحيوانات التي تمتُّ اليهِ بصلة . وكان ارتقاء بعض القرود من نواحٍ اجرى غير الناحية التي ارتقى فيها الانسان . فنشأ كذلك الشمبانزي والغورلا والأورانغ أوتان فكانوا ابناء عم الانسان الادنين . ومهما كانت وجوه الاختلاف بين العلماء على الوسائل التي تمَّ بها هذا الارتقاء فلا يختلف اثنان من الذين تؤخذ اقوالهم حجة في ان النشوء حقيقة راسخة . ورأي داروِن في ان الانسان نشأ من اصل قردي قد ثبت وتأيد بعد ما مرَّ عليهِ نصف قرن من الزمان

***

ولا يسعنا اثبات ترجمة الخطبة بحذافيرها على ما كان لها من الشأن الكبير لانها ضافية لا يتسع لها نطاق هذا الجزء وانما نقتطف منها اهمَّ ما جاء فيها من الاقوال

* لقد اثبت البحث البيولوجي ان نزغات الشرّ في طبيعة الانسان امور فُطِر عليها ووِرثها عن اسلافهِ . والواقع ان الانسان حيوان أخذ في الارتقاء ارتقاء عضويًّا وروحيًّا لا الله هبط من حالة كان فيها مثالاً للطهارة والتقى . وان ارتقاءه الروحي أعظم تميز لهُ عن سائر الحيوانات التي تسير معهُ في ميدان الحياة

* علينا ان نسعى وراء الحق ومتى كشفنا حقيقة جديدة يجب ان لا نتردد ولا ان نتألم في نبذ معتقد قديم مضاد لها . فاذا حدث ذلك صاح قوم ان الايمان في خطر يهددهُ . على ان درسي للتاريخ كما افهمهُ يدلني على ان الايمان يكون في خطر حينما تُستغَل الافكار وتلجم القرائح فلا تستطيع النهوض والسير في ميدان التقدم والارتقاء . ويقول البعض يجب ان نحتفظ بالحقائق المسيحية كما تبدو في معتقداتنا . اني لا اعلم انواعاً مختلفة من الحق . ويقول آخرون ان الآراء الجديدة كفر والحاد فنجيب هؤلاء ان كفر اليوم قد يكون معتقد الغد الراسخ

* ان المسيحيين الذين لا يخيفهم شبح التقاليد الدينية القديمة يرون ان لا نزاع بين مذهب النشوء وتعاليم المسيح . لان الله يستطيع ان يظهر قدرتهُ في اعمال النشوء البطيئة كما يستطيع ان يظهرها في اعمال الخلق التام المنفصل

٢

وليست هذه المرة الاولى التي صرّح بها أسقف برمنهام برأيه في هذا الموضوع. فقد بعثت اليه مجلة نالشر منذ سنتين تسأله رأيهُ في مسألة محاكمة سكوبس (الاستاذ الاميركي الذي حوكم في ولاية تنيسي الاميركية لانه خالف قانونها وعلّم مبادىء مذهب النشوء والارتقاء لتلاميذه في مدرسة من مدارس الحكومة) فكان ردّه كما يأتي:

ان التعصب القائم على الجهل الذي حدا ببعض الولايات القريبة من الولايات المتحدة الاميركية الى منع التعليم بمذهب النشوء في مدارس الحكومة تعصب ذميم. واني لارباً بنفسي كرجل يقدر الحرية الفكرية عن ان ارى جماعة انجلو سكسونيه تحاول ان تمنع نشر المعارف بالتشريع. واحزن شديد الحزن كمسيحي صميم حين اشاهد حركة غايتها مقاومة الوصول الى قاعدة معقولة للدين المسيحي. ان الادلة الثابتة المتجمعة اقنعت كل عالم بيولوجي يُؤبه لهُ في العالم المتمدن بأن الانسان نشأ من أصل شبيه بالقرد. وكل مسيحي متنور في بلاد الانكليز يعتقد ان النشوء هو الاسلوب الذي جرى عليه الله في خلق الانسان. وكل لاهوتي معروف هنا يسلّم بصحة هذا الرأي. ان هذا التسليم يعزز مقام المسيحية لانهُ يجعل الاساس الروحي الذي تستمدهُ من السيد المسيح أساساً معقولاً الى حد الاقناع

مهما بالغنا في الغث والسقطة لم نستطع ان نحوّل جانباً من تعاليم السيد المسيح عن ما هي مثبتة في العهد الجديد حتى نستخرج منها رأياً يقول بان ما ذكر في سفر التكوين عن الخلق صحيح بحرفهِ. لقد نسي الاصوليون ان الكتاب المقدس كنز من الحقائق الروحية لا كتاب علم للتدريس. لقد نسوا المعتقد المسيحي القائل ان الروح القدس لا يزال يبعث النورَ على ان يوسعوا افهامهم لكي يدركوا الحق. انهم يخافون خطأ ادراك الحق لان ذلك في رأيهم يضعف المعتقد المسيحي المبني على الوحي. والنتيجة الوحيدة التي لابدَّ ان تنتج عن مقاومتهم للعلم باسم الدين هي اغراء الوفير من طلبة المدارس الاحداث بالتخلي عن المسيحية حاسبين خطأً انها مرتبطة كل الارتباط بالجهل والبلاهة

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة و الطعام والملبس والشراب والمسكن وازينة وسير شهيرات النساء وغير ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الوقاية افضل من المعالجة

القيت في المستشفى الانكليزية

ان اول الاعمال الصحية العمومية التي ظهرت بشكل منظم ونمت مع العلم في نموه واتسعت مع اتساع نطاقه هي التي انشأها الطليان في مدينتي البندقية (فينيس) وجنوى في القرون الوسطى ايام كانت تجارتهم زاهرة رائجة في الشرق وكانت الافكار في احتمال العدوى بالملامسة تتراوح بين الشك واليقين . ولكن الخوف والميل الغريزي المفطور عليه عالم الاحياء لدفع الضرر والرغبة في البقاء . عوامل ثلاثة ، الخوف ودفع الضرر والرغبة في البقاء اخرجت فكرة الوقاية بصورة مجلس صحي صار تأليفه من نبهاء الامة واطلق عليه اسم الكورنتينا . وفي سنة ١٥٤٦ اي بعد ظهور مجلس الكورنتينا بقليل نشر جراينمو رسالة ضافية في مدينة البندقية (فينيس) عن الامراض المعدية والشفاء منها وقسّم العدوى فيها الى ثلاثة اقسام (١) العدوى التي تنتقل بالملامسة والاحتكاك والملاصقة (٢) العدوى التي تنتقل بواسطة وسيط (٣) العدوى التي تنتقل بالهواء . وفي سنة ١٦٥٩ وصف لوتهويك اول مشاهدة للاجسام الصغيرة وقال عنها في سنة ١٦٧١ ان كثيراً من الامراض المعدية ناشئة عن هذه الاجسام الدقيقة ويراد بهذه الاجسام الجراثيم والميكروبات . وللسيدة ماري مونتاجو فضل السبق في اول محاولة نجحت في اجراء عملية التلقيح الصناعي في اوربا فانها اظهرت للشعب الانكليزي في لندن بين سنة ١٧١٧ وسنة ١٧٢١ طريقة تحضير المادة الجدرية والتلقيح بها للوقاية من داء الجدري. ولم يقف هذا العلم عند هذا الحد بل نما نموًّا باهراً واصبح الركن الاساسي بما ادخل عليه من العوامل واضيف اليه من المكتشفات العلمية في مكافحة الامراض والادواء بما لو عنيتُ بتفصيله الآن لاستغرق عشرين ضفاً من الوقت المحدد لهذا الاجتماع ، ولذهب بصركم وانار عليّ حلمكم . لذلك اكتفي بهذا التمهيد

الوجيز الذي قضى به الموضوع وانتقل الى التحدث اليكم عن المبادىء العملية لعلم الوقاية. وانت تعلم يا اخي ان ما تكابده من العناية وتبذله من المال في سبيل الوقاية من الامراض هو اقل كثيراً مما عظم قدره من النفقات التي تتكبدها على التداوي والمعالجة فضلاً عن التي يدفعها جسمك ويظهر تأثيرها في بعض اعضائه. يتضح لك هذا الامر اذا تصورت عدوًّا قادماً عليك يريد ان يغتصب منك ما تملكه من مال ومتاع فهل تنتظره حتى يصل اليك ويمدُّ يده الى متاعك فتنهض عندئذٍ للدفاع عن ملكك وكيانك ام تمد عدتك وتستعد للقائه قبل ان يشرف عليك . أوَلا ترى انهُ اسهل عليك بكثير مقاومتهُ ودفع اذاهُ وانت مستعدٌّ لهُ منك وانت على غير استعداد ؟

ارأيت هذا المكان الذي يضمنا سقفه وتحيط بنا جدرانه . انهُ قائم على اركان لولاها لما قام بناؤه ولما عرف له شكلهُ الحاضر ؟

هل درست اسباب وضعه على اسس صحيحة خالية من الغش وهل فطنت وانت تدرس اصول البناء للآية الكريمة في الانجيل ان العاقل من بنى بيتهُ على الصخر فنزل المطر وجاءت الانهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط لانهُ كان مؤسساً على الصخر ، والجاهل من بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجاءت الانهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيماً ؟

هذه الآية تعزز مقام علم الوقاية الذي اريد ان احدثكم عنهُ هذا المساء. ومن الخطإ القول بأن ارتقاء هذا العلم لا يتناول غير نظام الصحة والجسد فان اصوله ومبادئهُ تنطبق على نزعات الجسم والنفس جميعاً . ولك في هذا البناء شاهد جلي على صواب القول المأثور ان درهم وقاية خير من قنطار علاج . فلو عقل ذلك الجاهل عند ما همَّ بتشييد بيته فوضع اساسه على الصخر اسوة بأخيه العاقل لما فقد بيته وخسر ماله وتعبه فضلاً عن نفسه . ولك يا اخي ان ترسل نظرة اخرى في الاعمال التي يقوم احد معارفك بها مهما كان نوعها عظيمة كانت ام وضيعة فتستطيع ان تحكم على الرجل القائم بها في تأمل قصير الامد وتحكم ان كان من العاقلين او من الجاهلين. فان كانت ناجحة نامية سائرة في معارج التقدم اقبل عليها الناس واطأنوا اليها وان كانت غير ناجحة وغير نامية لا تلبث ان تزول من الوجود آثارها وتندثر معالمها وترى النفور منها مجتمعاً عليه من عموم من اتصل بها . وربما اعترض على هذا الرأي معترض بقوله اني ارى بعضهم ناجحاً في عمله موفقاً غنيًّا وهو ابله او ماكر او محتال

ومع وضوح هذه الصفات الساقطة فيه تجده موقناً بمال وافر وسمعة حسنة . فرداً على قول هذا الاخ المعترض اقول ان وجود المال مع بعضهم لا يعني ان صفات الرجولة والمروءة والامانة والصدق قد تكونت في هؤلاء البعض ، وما كان المال في يوم من الايام ولا في زمن من الازمان مقياساً صحيحاً لاقدار الرجال وانما الرجال تقاس اقدارها باعمال عملوها فاخلصوا لها وحذقوها ووفوها حقها من المهارة والامانة . وانت مهما كان عملك صغيراً امام عمل جارك فقد تكون به اعظم منه اذا ما اخلصت له ، واكبر منه فائدة واحسن نتيجة اذا ما تممته بالامانة والصدق .

ولا تنس الآية الكريمة او لا تغفل عن القاعدة الكبرى لعلم الوقاية ودع جارك يعمل ويظهر مظاهر النجاح والتوفيق فانما توفيقه الى حين وانتظر الزمن فهو خير من حكم للعاقل انه عاقل وللصادق انه صادق اوعلى الجاهل انه جاهل وعلى الكاذب انه كاذب

ويجب ان تعلم يا اخي ان من عمل لغاية على غير قاعدة «العمل للعمل» كان نصيبه الفشل ولو بعد حين . واذا رغبت في شاهد آخر على صدق هذا القول النافع تجده في النملة الدقيقة في جسمها الحكيمة في عملها ، انها تسعى في جمع قوتها في فصل من فصول السنة دون الاختبار انها تحصل عليه فيه لا في سواه من الفصول فتراها غادية جماهير وزرافات في تحصيل هذا القوت الضروري لحياتها مدى السنة كلها وتراها عائدة به الى مقرها وهي آمنة عوادي الاهواء والامطار والتضامن رائدها والاتحاد عقيدتها لا احزاب ولا غايات تفصل بينها . وكما رأيت من درسك لهذا البناء انه قائم على اركان ثابتة قوية الدعائم كذلك رأيت ان هذه الاركان ما جاءت عبثاً بل احكم البناء وضعها على قاعدة سليمة من الغش في المواد التي استخدمها في تشييدها وتشييها وبقدر ما اخلص في وضعها على اسس صحيحة يكون حد ثباتها وبقائها

كذلك الانسان المخلوق الناطق . لقد منحه الله عزّ وجلّ جسماً مركباً من اعضاء رئيسية واخلص عنايته في هذا المنح فجاء الانسان تام الخلق صحيح الجسم سليم البنية وهذا الجسم البشري الذي تتخذه احياناً آلة للشر وحيناً للخير انما وجد ليكون مطية تمتطيها ايها الانسان في سبيل الانسانية الواسع ، في رقي البشرية ، في الاعمال النافعة الخالدة

وهو مركب من عناصر معروفة بانواعها وجواهرها ومبزاتها ولكن لا ينال هذا

التركيب في مجموعه غامضاً في دقائقه عن افهام الناس جميعاً وما ذلك الا لكونه من عمل الخالق القدير وقد شاءت الحكمة الالهية التي وضعتهُ سليماً من الامراض ان تجعل له مطامع ومنازع وشهوات وهذه المطامع والمنازع والشهوات اوجدت الامراض والادواء تهدد سلامتهُ وصحته وتفسد عليه الطمأنينة على بقائه ولو الى زمن قصير خالياً من عوادي الجراثيم والميكروبات . فنشأ لهذه الاسباب علما الوقاية والعلاج وعلم الوقاية اسبق من علم العلاج في الظهور بدليل ما نراهُ في الحيوانات والهوام كيف انها تحسن الدفاع عن كيانها ومكافحة العدو الهاجم عليها بكل وسيلة تملكها . ألم تشاهد قطة تبدي من الخوف قوة في مقاومة كلب رغب في مداعبتها والسخر منها كيف انها تنتفض وتقوس ظهرها ولو ملكت لرفعت جسمها الى ابعد ما تطول قوائمه وتستعين بتخويف الكلب بشخيرها وابداء انيابها والتحديق بعينيها . كذلك الطائر يخاف الحدأة والدجاجة ابن آوى وسائر الحيوانات يخاف بعضها بعضاً ويحتال بعضها على بعض في الهروب والدفاع عن نفسه منها. ولما كانت الحيوانات تساق بغريزتها الى الدفاع عن حياتها والفضل في ذلك عائد الى الطبيعة نفسها اذ انها قائمة على ناموس الاخذ والدفع وبقاء الاصلح في جميع تطوراتها كذلك ترى الانسان بفطرته الاولى كان يحسن الدفاع عن نفسه ووقاية جسمه من تقلبات الجو الى حدّ ما وصل اليه فهمهُ واختبارهُ وعلى هذه النسبة ارتقت مداركه وادرك اليوم ما لم يكن يدركهُ من قبل واصبح علم الوقاية فناً عظيم الشأن جزيل الفائدة كما ترى تأثيره المفيد في معظم الامراض بل في جميعها . وهذا العلم يجب ان تنشر قواعده في كل مكان ويتناول منافعهُ كل انسان ويرفع لواءهُ كل فرد من امة تريد ان تحيا سعيدة وان يكون لها المقام المحترم بين الامم. وان امةً تنشئ بنيها على قاعدة صحية سليمة الاساس فتصلح البيئة لهم وتطهرها من جراثيم الامراض وتمحو اثرها منها بكل وسيلة علمية معروفة . وتجعل تعليمهم كيف يعيشون وكيف يدافعون عن صحتهم امام جيوش الميكروبات مرمى اسامياً من اسمى مراميها وغرضاً من اجل اغراضها ، لهي الامة التي يحق لها ان تعيش وان يطيب لها العيش

وانت تعلم أن للجسم اعضاء رئيسية كبرى وثانوية صغرى ولكل عضو منها عمل خاص بها ولما كان لكل عضو وظيفة يقوم بها وحدهُ فهو من هذا الوجه حاصل على الاستقلال التام وحظهُ اوفر من حظ الشعوب الصغيرة التي تنشدُ الاستقلال وتتمنى به فقط

ولكن لا تنس ان استقلال اعضاء الجسم انما هو استقلال ذاتي فهي تشتغل مستقلة ولكنها في مجموعها تعمل لمصلحة الجسم كله كما انها تعمل بمفردها لمصلحتها ومصلحة المجموع ولها نظام تحترمهُ وتريد منك ان تحترمهُ لان الاخلال به يشوّش على ذلك العضو عمله اولاً وعلى سائر الاعضاء ثانياً. فاذا اثقلت على معدتك بالاكل الثقيل مثلاً والشرب اللذيذ واكلت من غير نظام ولا ترتيب ولا انقطاع اي استمريت في الاكل والشرب من غير ان تحسب ان لهذا العضو الامين نظاماً وان قوة محدودة على الهضم وان لهُ دائرة وحجماً لا يتعداها وليس في وسعهِ ان يتعداها، تكون النتيجة احداث الخلل في نظام الجهاز الهضمي والارتباك في وظيفتهِ وتشعر المعدة بالم وتخمة وتحس بصداع وعسر بالتنفس وتوعك وانحراف وتنفور من اهلك ومعارفك وتصبح كأنك في عزلة تامة عن الناس جميعاً لا يشغلك عن الافكار بمعدتك احد منهم. فقليل من العناية والنظام في نوع الطعام ومواعيده يقيك من هذا التعب ويدفع عنك اعراض التخمة وتظل معدتك على ما وجب ان تكون عليه . ولو اقتصرت اضرار الاخلال بنظام هذا العضو على ما تقدم فقط لهان الامر وكانت الاساءة قصيرة المدى واما عند اضراره الى ابعد من التخمة والتبك وفي الغالب تجد ان من يهمل صحته او لم يكن لهُ نظام صحي في معيشتهِ يصبح عرضة لامراض معدية عديدة فانهُ غالباً لا يهتم بنوع الطعام ولا بميعاد الاكل ولا يراعي القاعدة الذهبية في علم الوقاية وهي قبل ان تأكل او تشرب اغسل يديك ووجهك وفمك تدفع عنك اخطاراً عظيمة الشان، فمن يهمل شيئاً من هذا النظام كله تجدهُ غالباً شاكياً مريضاً لان في عدم غسل يديهِ قبل ان يتناول طعامهِ قد يرسل مع الطعام بعض الميكروبات والجراثيم الى معدتهِ ومنها تجد طريقها الى مختلف الاعضاء ويظهر تأثيرها بعد وقت قصير . ومن عوّد نفسهُ النظافة اراح جسمهُ وفكره من مشاق واهوال لا يدركها غير الخبير وارجو ان لا تكون اختبرتها

من العادات الشائعة في مصر كثيراً بين الرجال والسيدات حك الاسنان واشغال الفم بهذه الحركة حركة المضغ الكاذبة ساعات طوال كأن هؤلاء يريدون ان يجردوا الغدد اللعابية والمعدية من جميع قواها ويستنفدوا منها مفرزاتها من غير ان يكون هناك باعث او عمل نافع يعود خيره على الجسم. ولقد خفي عليهم ان عملهم هذا يضر بالجهاز الهضمي كثيراً ولهُ اثر سيء في الجهاز العصبي، فضلاً عن انها عادة بعيدة عن الذوق

تعرض صاحبها لالتقاط الميكروبات السابحة في الهواء والغبار فتدخل جسمهُ وتعمل عملها الخاص بها . ورجائي ان تبطل هذه العادة ولو كان في ابطالها خسارة واقعة على اصحابها

ولا يذهب عن بالك ان للجسم جنوداً حمراء وبيضاء متنوعة ولهذه الجنود اعمال تقوم بها بامانة واخلاص لا مزيد عليه لمستزيد وليس لها غرض من وجودها غير الدفاع عن مجموع الجسم فهي اشبه بالاساطيل التي تحمي عباب اليم والجنود الواقفة لحراسة الامة . انما قد يصدر عن جنود البر والبحر بعض التواني والقصور في اداء اعمالهم اما جنود الجسم واساطيله السابحة في دمك لا تعرف التواني ولا الخيانة فهي تحت السلاح وفي الخدمة في كل وقت لا هدنة ولا عوادة في عملها . فانك اذا اصبت بجرح في اصبعك رأيت ان هذه الجنود الامينة في حركة غير عادية هي اقرب الى حركة حرب منها الى حركة سلم وتشاهدها هاجمة على محل الاصابة خفافاً تبغي ان ترمم الجرح ولذلك تراها تخرج منهُ بعد الاصابة على رغم ارادتها حتى يرسخ قدمها وتحتل مكان المعركة وبعد ان يتم لها ما تريده تتقدم الى ساحة القتال جنود بيضاء تعرضها الدفاع عن هذه الساحة وان لا تدع احداً من الجراثيم والميكروبات ان يقيم فيها او يتطرق منها الى الجسم فتقوم معركة هائلة بين هذه الجنود وبين الميكروبات والغلبة تكون للاقوى كما هو منتظر فاذا كنت سليم الجسم صحيحه تراعي في معيشتك النظام الصحي فلا خوف على جنودك من التقهقر واذا كنت تسيء الى معدتك فتأكل من غير نظام وتشرب غير الماء وتعرض جسمك لمتاعب غير لازمة فجنودك التي تدافع عنك تتعرض للشلل بلا محال. لذلك يقوم علم الوقاية بمراعاة الشروط الآتية :—

تم باكراً اغسل يديك وفمك ووجهك قبل ان تأكل وتشرب . لا تأكل اكثر من لونين من الطعام لا تأكل بين طعام وطعام . اجعل لتغذية جسمك مواعيد احترمها وامش عليها . لا تبالغ بفمك اللبان . قبل النوم اغسل قدميك بماء سخن واغسل وجهك ويديك وفمك بماء بارد وارتدِ ثياب النوم واريد بثياب النوم غير الثياب التي ارتديتها في النهار فهذه يجب ان تبدلها كل يوم لان في تبديلها فائدة ان خفيت عنك لا تخفى عن جسمك فهو يستفيد منها ويشعر بالفائدة التي اكتسبها منها

مصر الدكتور شخاشيري

فوائد منزلية

عث الثياب — يجهل كثيرات من السيدات ان العث الذي يلحس الثياب الصوفية ونحوها من البسط والستائر اصلهُ فراش بطير في البيت ويضع بيضهُ حيث يجد لهُ غذاء اذا صار دوداً . وهذا الفراش جناحاهُ المقدّمان اصفران والمؤخران ابيضان وهو يفضل الظلمة على النور ودودهُ صغير ابيض لهُ رأس اسمر فاذا وضعت الثياب في كيس محكم من الورق او القماش القطني الجديد سلمت منهُ . واذا كان العث قد ضرب الثياب او خيف من وجود بيضهِ فيها او في الصناديق والخزائن التي توضع فيها عولجت بالبنزين اي برشّهِ عليها او برشّ بي كبريتيد الكربون النقي مرة كل شهر او كل ستة اسابيع

لباس الاطفال — يجب ان يكون لباس الاطفال دافئاً لان قوتهم في توليد الحرارة ضعيفة كالشيوخ فيعطى جميع الجسد بالقلانسوة الناعمة ويكون لباس الخارجي من الاقمشة الخفيفة الناعمة . ولا يجوز على الاطلاق تغميط الطفل وحصر اعضائهِ باحزمة وارباطة تضيّق عليهِ وتحجزهُ عن الحركة المطلقة فبدونها لا يقوى الجسد ولا تشتد البنية

نوم الرضيع — يجب ان ينام الرضيع في سرير وحدهُ بعد الشهر الاول من عمرهِ واذا نام في الشهر الاول مع امهِ او مرضعهِ وجب ان يدار وجههُ عنها ولا يغطّى الوجه بشيء وان تكون ثياب النوم خفيفة واسعة ولا يحاط السرير بستائر ثخينة . والطفل الصحيح الجسم ينام في الشهر الاول والثاني اكثر الليل والنهار . ويجب ان لا يعطى منوّماً مهما كانت الحال الا بامر الطبيب . ولا بدَّ من الجري في نومهِ ويقظتهِ على اسلوب معيّن حتى يعتاد ذلك ويصير ينام من نفسهِ كلما جاء ميعاد نومهِ

البصل المخلّل — يستطيب البعض البصل المخلّل ولهُ في بلاد الانكليز تجارة واسعة وهو يصنع هكذا : يقشر البصل ويوضع ليلة في ماء اذيب فيهِ ملح حتى صار الماء يطفو فيهِ . ويخرج من هذا الماء في الصباح ويغسل ويُنشّف الحلُّ الابيض الذي اضيف اليهِ قليل من الشب الابيض ويُصَبُّ فوق البصل وهو غالٍ في اناء زجاجي وعلى رأس الاناء بسدادة زجاجية ايضاً

باب الزراعة

سوق القطن

ومصير القطن المصري

يتعذّر على الكاتب ان ينبىء بالنتيجة التي تسفر عنها العوامل العديدة التي تعمل الآن في اسواق القطن في انحاء العالم ولا سيما ان جانباً كبير من هذه العوامل ليس طبيعيًّا بل منشأهُ المضاربة البحتة والتكهن بالغيب . ولو كان ناموس العرض والطلب جارياً في مجراه المقرر لكانت احوال هذه الاسواق غير ما نراه عليها الآن. فالعالم يحتاج في هذا الاوان الى نحو ٢٤ مليون بالة من القطن على الاكثر . والمنظور من القطن الاميركي ونعني به المتخلف من المحصول السابق وما قبلهُ يقدَّر من ٧ ½ مليون الى نهاية ملايين بالة يضاف اليها المحصول الحالي وقد قدَّرتهُ وزارة الزراعة الاميركية بنحو ١٢ ½ مليون بالة فيكون جملة الموجود من القطن الاميركي حوالي ٢٠ مليون بالة وهو ما لم يسبق لهُ مثيل في كبره من قبل الا في محصولين او ثلاثة . وبعبارة اخرى ان الموجود من القطن الاميركي الآن يزيد على حاجة العالم منهُ نحو خمسة ملايين او ستة ملايين بالة لان المقطوعية منهُ في المحصول الماضي بلغت ١٥ مليون بالة وهي اكبر مقطوعية عرفت حتى الآن من القطن الاميركي.

نأتي الآن الى القطن المصري . فان المنظور منهُ وهو المتخلّف من المحصول الماضي والذي قبلهُ يبلغ نحو ٢٥٢٨٠٠٠ قنطار مخزونة في الاسكندرية وانكلترا وبلدان اوربا واميركا ومشحونة في البواخر. يضاف الى ذلك المحصول الحالي وهو يقدّر بنحو ستة ملايين قنطار فيكون مجموع الموجود كلهِ من القطن المصري حوالى ٨½ مليون قنطار مع ان كثيرين من كبار تجار القطن في الاسكندرية يقدرون هذا الموجود باكثر من ذلك وقد جعلهُ بعضهم نحو ٩ ٤٥٠ ٠٠٠ قنطار وقد كان الموجود منهُ في المحصول الماضي ١٥٦٨٧٠٠٠ قنطار وفي المحصول السابق ٩٣٧٥٠٠٠ قنطار . وكانت اكبر مقطوعية من القطن المصري حتى الآن في السنة الماضية اذ بلغت ٧ ٧٢٢ ٠٠٠ قنطار

ولكن متوسط المقطوعية منهُ في السنوات العشر الماضية لم يزد على ٦½ مليون قنطار تقريباً فيكون الموجود من القطن المصري في الوقت الحاضر زائداً على هذا المتوسط نحو مليوني قنطار . ولا يظن ان المقطوعية في السنة الحاضرة تبلغ نشأوها في السنة الماضية لاسباب عديدة اولها ارتفاع اسعار القطن عن مثلها في السنة الماضية ما لا يقلُّ عن عشرة ريالات في القنطار علاوة على ان هذه الزيادة تتضاعف في الصناعة اضعافاً فتجعل اسعار المغزولات والمنسوجات من القطن المصري فوق طاقة كثيرين من المستهلكين فيقلُّ بذلك الطلب عليها . ثانياً رخص اسعار الحرير الطبيعي وعودتها الى ماكانت عليهِ قبل الحرب تقريباً . ثالثاً زيادة اتقان الحرير الصناعي حتى انهُ كاد لا يفرق عن الحرير الطبيعي ولاسيما المخلوط منهُ بالقطن، وشيوع استعماله ورخص اسعاره عن القطن المصري رخصاً نسبيًّا . رابعاً الاستعاضة من القطن المصري ولاسيما السكلاريدس منهُ باصناف اخرى من الرتب الرفيعة في صنع اطارات الاوتوموبيلات واجنحة الطيارات وسواها

***

فهذه الامور اذا جمعت معاً واضيف اليها منافسة السودان الشديدة لنا في القطن السكلاريدس جعلت مركز هذا القطن دقيقاً خلافاً للقطن الاشموني والزاجوراه والبليون فان هذه الاصناف تتبع في سيرها عادة سوق القطن الاميركي الا فيما ندر

وقد اخذت منافسة السودان لنا تظهر جليًّا في نقص الصادرات في قطننا الى انكلترا من جراء اقبالها على شراء قطن السودان دون قطننا ولاسيما السكلاريدس منهُ

وهذه حالة لا علاج لها الا بامر واحد لا ثاني لهُ وهو ترخيص اسعار القطن السكلاريدس الى ادنى حد مستطاع وذلك بزيادة المحصول منهُ في الفدان الواحد حتى يعود الى ماكان عليهِ في اواخر القرن الماضي لما كان محصول الفدان يتراوح من خمسة الى ستة قناطير . فاذا وفقنا الى ذلك امنّا على محصول قطننا وعلى اكبر ركن من اركان ثروة البلاد ولم نعد نخاف من منافس

وقد وفق احد الزراع في مديرية الشرقية الى انتاج ٥½ قنطار من قطن المرض في المحصول الحالي رغماً مما اصاب زراعتهُ من الآفات الزراعية والتقلبات الجوية . ولا مقرَّ لنا من تنظيم شؤوننا الزراعية تنظيماً يزيل الفوضى الضاربة اطنابها فيها الآن . وذلك بان نقلل ما استطعنا من الايادي العديدة التي تعمل في تبويب اصناف قطننا

ومراتبها وبيعها وتصريفها وفي عدد الوسطاء الذين يربحون جانباً غير قليل من كسب الفلاح بما يمدونهُ بهِ من التقاوي والسماد وآلات الحرث وسائر المعدات الزراعية على اختلاف انواعها وتوحيد ذلك كلهِ في يد واحدة اذا كان في الوسع والاَّ ففي ايد قليلة . وهذا لا يتيسر الاَّ بانشاء نقابة زراعية كبيرة لها فروع في جميع انحاء البلاد او بان يتولى بنك وطني كبير كبنك مصر مثلاً القيام بهذا العمل الى ان تنشأ النقابة المذكورة فان السبب الاكبر في تفوُّق السودان علينا وفي زيادة ربحهِ عنا من زراعة القطن وحسن تبويبهِ لاصناف القطن وسهولة تصريفهِ لها هو انهُ عُهِد في ذلك كلهُ الى شركة واحدة تتولى جميع هذه الاعمال من غير دخول وسطاء سواها بين المنتج والمستهلك من جهة وبين الفلاح والبنوك وتجار العروض من جهة اخرى

ونحن لا نحاول ان ندخل اليأس والقنوط على نفس فلاحنا النشيط وانما نبسط لهُ هذه الحقائق حتى يعتبر بها ونحضهُ على الاجتهاد في الاقتصاد في الزراعة والتوسل باحدث المكتشفات والمخترعات لزيادة المنتج منها فان على هذه الزيادة وهذا الاقتصاد يتوقف ربحهُ وسهولة تصريف محصولاتهِ . فقد نشطت بلدان كثيرة الى منافستنا في اعز محصول عندنا واذا نحن تقاعدنا عن مجاراتها في هذا المضمار سبقتنا فيهِ كما سبقتنا السودان

وندمنا حيث لا ينفع الندم

باحث مصري

مقطوعية القطن في العالم

في السنتين الماضيتين

اصدر اتحاد القطن الدولي في آخر شهر اغسطس الماضي بيانات مفصلة عن مقطوعية القطن في العالم في العام الذي آخره ٣١ يوليو الماضي مع مقابلتها بمثلها في العام السابق . واول ما يستوقف النظر في هذه البيانات ان المخزون من القطن الاميركي في السنة الماضية زاد نحو خمسين في المائة على ما كان عليه في السنة التي قبلها في حين ان المخزون من القطن المصري لم يزد سوى ١٠ في المائة تقريباً . وزادت مقطوعية الهند من القطن الاميركي ٨٠٠٠ بالة في السنة السابقة الى ٢٩٠٠٠٠ بالة في السنة الماضية ونقصت مقطوعية انكلترا من القطن المصري ١٧٠٠٠ بالة ولكن مقطوعية روسيا والمانيا منه تضاعفت عما كانت عليهِ في السنة السابقة

وقد بلغت مقطوعية العالم كلهُ من القطن في العامين الماضيين كما يأتي بالبالة

	١٩٢٧	١٩٢٦
الاميركي	١٥٧٧٧٠٠٠	١٣٢٣٠٠٠٠
المصري	١٠٠٧٠٠٠	٩٢١٠٠٠
الهندي	٥١٩٧٠٠٠	٥٥٧٢٠٠٠
الاصناف الاخرى	٣٩٠١٠٠٠	٤٤٥٨٠٠٠

فيرى مما تقدم ان المقطوعية من القطن الاميركي زادت في السنة الماضية عما كانت عليه في السنة السابقة ٢٠٤٧٠٠٠ بالة ومن القطن المصري ٨٦٠٠٠ بالة ونقصت في القطن الهندي ٣٨٥٠٠٠ بالة ومن الاصناف الاخرى ٥٥٧٠٠٠ بالة

وكان المخزون من القطن الاميركي في المخازل في جميع بلدان العالم في ٣١ يوليو الماضي ٣٠١٧٠٠٠ بالة مقابل ١٩٦٩٠٠٠ بالة في ٣١ يوليو سنة ١٩٢٦ ومن القطن الهندي ١٥١٨٠٠٠ بالة مقابل ١٥٨٩٠٠٠ بالة ومن القطن المصري ٢٢١٠٠٠ بالة مقابل ٢٠١٠٠٠ بالة ومن الاصناف الاخرى ٥٥٤٠٠٠ بالة مقابل ٧٠٩٠٠٠ بالة سنة ١٩٢٦ . وعلى ذلك تكون جملة المخزون من جميع اصناف القطن في مخازل العالم كله في ٣١ يوليو الماضي ٥٣٤١٠٠٠ بالة مقابل ٤٩٨٠٠٠ ٤ بالة في ٣١ يوليو سنة ١٩٢٦ و ٢٦٧٠٠٠ ٤ بالة سنة ١٩٢٥ . واليك بيان مقطوعية القطن المصري

	١٩٢٧	١٩٢٦
بريطانيا العظمى	١٨٣٠٠٠	٢٠٠٠٠٠ بالة
اميركا	٨٥٠٠٠	٧١٠٠٠ »
فرنسا	٤٩٠٠٠	٥٦٠٠٠ »
روسيا	٤٣٠٠٠	٢٤٠٠٠ »
المانيا	٣٦٠٠٠	١٩٠٠٠ »
ايطاليا	٢٦٠٠٠	٢٨٠٠٠ »
سويسرا	٢٥٠٠٠	١٨٠٠٠ »
اليابان	٢٣٠٠٠	١٩٠٠٠ »
سائر البلدان	٥٠٠٠٠	٤٢٠٠٠ »

اي ان المقطوعية من القطن المصري نقصت في بريطانيا وفرنسا وايطاليا ٢٦٠٠٠ بالة وزادت في سائر البلدان ٦٩٠٠٠ بالة فتكون الزيادة الحقيقية ٤٣٠٠٠ بالة

الاطيان المزروعة في القطر المصري
في سنة ١٩٢٧

يؤخذ من بيانات اصدرتها مصلحة الاحصاء العامة ان مساحة الاراضي التي زرعت زراعة شتوية في السنة الماضية التي آخرها ٣١ اغسطس المنصرم بلغت في القطر المصري كله ٤ ١٤٩ ٠٦٥ فداناً مقابل ٣ ٨٨٦ ٣٧٠ فداناً في السنة السابقة كانت موزعة كما يأتي بالفدان : —

	١٩٢٦ — ١٩٢٧	١٩٢٥ — ١٩٢٦
قمح	١ ٥٩٤ ١٨٨	١ ٤٧٥ ٤٥٦
فول	٤٤٧ ٤٩٣	٤١٤ ٠٤٤
شعير	٣٦١ ٨٤٣	٣٢٠ ٧١١
برسيم	١ ٤٩٠ ٠٤٨	١ ٤٣٧ ١٨٩
بصل	٤١ ١١٥	٣٦ ٤٠٤
عدس	٨١ ١٥٦	٦٣ ٤٢٢
كتان	١ ٦٣٣	٣ ٥٨٤
حلبة	٧٤ ٢٨٩	٧٣ ٦٩٩
ترمس	١٨ ١٢٥	١٤ ٨٨٨
جايان	١٩ ٠٨٨	٢٠ ٣٤٥
حمص	٢ ٤١٦	١٣٩٤
اصناف اخرى	١٧ ٦٧٦	٢١٢٢٤

وبلغت مساحة الاطيان التي زرعت زراعة صيفية ٢ ٢١٢ ٥١٣ فداناً مقابل ٢ ٣٠٤ ٠١١ فداناً في السنة السابقة وكانت موزعة كما يأتي بالفدان : —

	١٩٢٦ — ١٩٢٧	١٩٢٥ — ١٩٢٦
ذرة شامية	١٨ ٥٥٤	٥٨٤٣
ذرة رفيعة	١٧٩ ٥٤٧	١٧٩٧٥٥
ارز	٣٥٨ ٤٣٢	١٨٤ ٢٩٠
فول سوداني	١٧ ٢٦٠	١٤ ٢٣٦

	١٩٢٦ — ١٩٢٧	١٩٢٥ — ١٩٢٦
سمسم	١٢ ٠٤١	٩٥٥٥
خضراوات	١٩ ٥٢٠	١٩ ٠٥٠
بطيخ وشمام	٣٢٢٣٠	٣٦ ٧٩٢
قطن	١ ٥١٦ ١٩٩	١ ٧٨٥ ٧٠٢
قصب	٤٧ ٢٩٤	٥٢ ٠٦٣
اصناف اخرى	١١ ٤٣٩	١٦ ٦٢٣

و بلغت مساحة الجنان في السنة الماضية ٣٤ ٠٢٢ فداناً مقابل ٣٣ ٩٧٨ فداناً في السنة السابقة وكانت موزعة كما يأتي بالفدان : —

	١٩٢٧	١٩٢٦
عنب	٥٥٣٨	٥٦٧٣
برتقال ويوسف افندي	٨٢٧٧	٨١٢٤
تين	٢٢٩٩	٢٥٧٨
اصناف اخرى	١٧٩٠٨	١٧٦٠٤

وفي التالي بيان بمساحة المزروع من القطن بحسب اصنافه في السنتين الماضيتين وهو بالفدان : —

	١٩٢٧	١٩٢٦
سكلاريدس	٧٩٥٧٤٠	٩٨١٧٨٣
عفيفي	٤ ٢٦١	٤٢٣٤
اشموني وزاجوراه	٥٩٩١٤٩	٦٦٧٤٧٤
بليون	٧٤٤٥١	١٠٢٣٩٤
اصناف اخرى	٤٢٥٩٨	٢٩٨١٧

غزل القطن ونسجهُ في اليابان

غزل القطن ونسجهُ وتصدير الحرير أكبر الاعمال المالية مقاماً في بلاد اليابان وقد جاء في ملحق جريدة اساهي عن سنة ١٩٢٧ ان قيمة ما صدّر من الحرير الخام سنة ١٩٢٦ بلغ ٣٦ في المائة من قيمة الصادرات كلها وقيمة ما صدر من المنسوجات القطنية على

اختلافها بلغ ٢٥ر٥ في المائة من الصادرات وبلغت قيمة القطن الخام الوارد على اليابان في تلك السنة ٣٥ في المائة من وارداتها

وما ورد على اليابان من القطن الخام ورد من البلدان الآتية :

	ما قيمتهُ		
من الهند	٣٢٧٢٥٠٠٠٠	ين	او نحو ٣٢٧٥٢٠٠٠ جنيه
» الولايات المتحدة	٣١٧٤٢٧٠٠٠	»	» ٣١٧٤٢٧٠٠ »
» الصين	٣٥١٣٣٠٠٠	»	» ٣٥١٣٣٠٠ »
» مصر	٣٤٤٧١٠٠٠	»	» ٣٤٤٧١٠٠ »
» بلدان اخرى	١٣٧٧٠٠٠	»	» ١٣٧٧٠٠ »

ومما هو جدير بالذكر ان قيمة الواردات على اليابان من القطن المصري كانت في سنة ١٩٢٦ ضعف ما كانت سنة ١٩٢٥ اذ بلغت قيمة ما صدر من مصر الى اليابان من القطن سنة ١٩٢٥ نحو مليون جنيه ونصف مليون فبلغت سنة ١٩٢٦ نحو ثلاثة ملايين جنيه ونصف مليون كما تقدم

واردات القطن على الاسكندرية وصادراتهُ منها

الواردات

	في الاسبوع الماضي		من اول سبتمبر
١٩٢٧	٢٩٥٥٢٣	قنطاراً	١٩٣٠٧٦٠ قنطاراً
١٩٢٦	٣٥٦٣١١	»	١٥٣٠٢٩١ »
١٩٢٥	٣٥٩٤٦٤	»	٢١٢٨٩٠٨ »

الصادرات منها

١٩٢٧	١٣٧٧٨٥	قنطاراً	٨٦٨٤٨٥ »
١٩٢٦	٢١٠٨٣٤	»	٧٧٩٠٠٥ »
١٩٢٥	٢٥٩٩١٢	»	٩٥٩٩٣٧ »

المخزون في الاسكندرية

١٩٢٧	١٩٢٦	١٩٢٥
٢٨٤٢٢٧٥	١٨٢١٦٤٧	١٤٤٤٢١٥

توزيع الصادات

	انكلترا	اميركا	سائر البلدان
١٩٢٧	٣٥٤٤٥٣	٤٠٧٠٠٨	١٠٧٠١٤
١٩٢٦	٣٧٤٠٢٥	٣٢٧٠٨٥	٧٧٨٩٥
١٩٢٥	٤٦٠٨٥٩	٤٠٨٠٩٨	٩٠٩٨٠

***

وأهم ما يلفت الانظار في الارقام المتقدمة ان الصادرات الى انكلترا آخذة في النقصان سنة بعد أخرى في حين ان الصادرات الى اميركا وسائر البلدان زادت زيادة كبيرة في هذه السنة على مثلها في السنة الماضية مع انهُ كان من المنظور ان تزيد الصادرات الى انكلترا في هذا العام عما كانت عليهِ في العام الماضي بسبب احتمال حصول الرتب العالية من القطن الاميركي وهو الامر الذي حدا بسائر البلدان الى الاستزادة مما تستورده من القطن المصري عادة علاوة على اقبالها على منافسة انكلترا في غزل القطن المصري ونسجهِ كما سبق ان نافستها في المنزولات والمنسوجات من القطن الاميركي

والسبب الاكبر في نقص الصادرات الى انكلترا هو ان تجارها ومغازلها صاروا يفضلون ابتياع القطن السوداني على القطن المصري لاعتبارات جوهرية اهمها ما يأتي:

أولاً — انهم يشترون القطن السوداني في ليفربول بضاعة حاضرة لا كنتراتات كما هي الحال في القطن المصري

ثانياً — انهم يشترون القطن السوداني لآجال اخذت تحددها لهم شركة مزارع السودان أخيراً لترغيبهم في شراء قطنها

ثالثاً — حسن فرز القطن السوداني وتبويب رتبهِ لان محصول القطن في السودان محصور كلهُ في يد واحدة هي « شركة مزارع السودان » فيأتي لذلك قطناً سكلاريدس خالصاً لا يخلط فيه ولا شوائب خلافاً لما هي الحالة عليهِ في مصر حيث لا تحصى الايدي التي تشتغل بفرز قطنها وتبويبهِ

فهذه الاعتبارات وسواها حملت تجار انكلترا وغزالها على تفضيل القطن السوداني على القطن المصري والاقبال على شرائهِ . اما الفرق اليسير بين القطنين كبياض شعرة القطن السوداني فقد عوبج امره بيل هذا القطن بالماء عند غزلهِ

باب التقريظ والانتقاد

عصر المأمون

عرفنا صديقنا الدكتور فريد رفاعي منذ بضع سنوات وهو صاحب منصب كبير في وزارة الداخلية اذ كان يزورنا في ادارة المقتطف وهو لا ينفك يظهر من غيرته عليه وعنايته بمباحثه ما اكبرناهُ فيه . وكنا من حين الى آخر نحادثهُ في موضوعات ادبية او تاريخية او سياسية فكنا نلفيه مطلعاً على اشهر المؤلفات واحدثها في هذه المباحث مع كثرة مشاغله، موَّافاً الى اقتناء كل جديد مفيد من الكتب والمجلات التي لم تصلهُ اخبارها. كلُّ هذا ونحن لا ندري انهُ عاكف منذ ما ينيف على عشر سنوات على الدرس والبحث مكبٌّ على وضع كتاب في تاريخ عصر المأمون يتوخى في وضعهِ الطريقة العلمية الحديثة في كتابة التواريخ وهي الذهاب الى مصادر التاريخ من مؤلفات الكتاب المعاصرين مخطوطة كانت او مطبوعة والى مؤلفات المستشرقين ومباحثهم والمقارنة بينها لتمييز صحيحها من فاسدها وغثها من سمينها

ثم اطلعنا في الصحف السيَّارة في اوائل الصيف الماضي ان الاستاذ احمد فريد رفاعي سيتقدم الى امتحان الدكتوراه في الجامعة المصرية برسالة في « عصر المأمون » وبحث في « مهمة المؤرخ » . فعزمنا على ان نحضر هذا الامتحان متى آن اوانهُ . وفي الوقت المعين يمَّمنا مدرَّج المحاضرات في الجامعة المصرية ولبثنا تنتظر زهاء نصف ساعة قبلما حضر الممتحنون وهم الدكتور منصور فهمي والدكتور طه حسين والاستاذ الشيخ محمد النجار والاستاذ حسونه بك والاستاذ عبده خير الدين بك

فتقدم اليهم فريد ملخصاً مباحث الرسالة التي وضعها وواصفاً للطريقة التي جرى عليها في وضعها مبيِّناً ان عملهُ هذا استغرق ١٣ سنة من بحث وتنقيب في مؤلفات العرب والافرنج. ثم وجَّه اليهِ الاساتذة الممتحنون كثيراً من المسائل التي تتعلق بمهمة المؤرخ وطريقته في البحث واخرى تدور على الحضارة في العصر العباسي بوجه عام وعصر المأمون بوجه خاص فقضى نحو ساعتين يجيب عن هذه الاسئلة آناً يشرح ويعلل وآناً يستشهد ويفنِّد وآناً يبدي رأيهُ ويؤيده بالادلة النقلية والعقلية والمنطقية كل ذلك

في فصاحة لسان وبلاغة تعبير وحضور ذهن لم نر ما يفوقهما في أمثال هذه المواقف. وخرجنا من ذلك الامتحان معجبين بتفوّق صديقنا مثنين على جدّه وهمته متمنين ان يكون مثالاً طيباً لاكثر القائمين باعمال الحكومة يُنسج على منواله آخذين على لجنة الامتحان امراً واحداً وهو عدم عنايتها العناية الكافية حينئذ بتوجيه اسئلة الى الممتحن عن الحياة العلمية في العصر العباسي والقائمين بها تتناسب مع قيمة الموضوع

ثم اطلعنا على جانب من رسالة الدكتور فريد رفاعي قبل تقديمها الى الطبع فتقلنا فصلا من فصولها نشرناه في مقتطف يوليو الماضي يدور على سياسة المأمون وتقديره لرجال الدولة

ولما علمنا انهُ يهتم بطبع الكتاب اكبرنا همتهُ واقدامهُ لعلمنا ان كتاباً تاريخيًّا ككتابهِ في الحجم وطريقة البحث مما يقلُّ اقبال عامة القراء عليهِ ، ولكنهُ اقدم غير هيّاب الخسارة المالية لاعتقادهِ ان نشر هذا الكتاب ونشر ما يشبههُ من المؤلفات يكون «ذا أثر نافع يمكن غيري من اتخاذها اساساً لكتابة تاريخ المدنيات العربية الواسعة المدى والبليغة الاثر في الثقافات الانسانية عامة كتابة تاريخية صحيحة» كما ذكر من المقدمة

وكنا في بلاد الانكليز في الصيف حين صدور الكتاب فلما عدنا وراجعنا اعداد الصحف التي صدرت في غيابنا وجدنا كيف تلقتهُ الصحف واثنت عليهِ اعظم ثناء وكيف اقبل الجمهور عليهِ اقبالاً يندر مثيلهُ في المؤلفات العربية الرزينة. ولا غرو فان المؤلف كاتب مشهور وبحاثة محقق وقد اختار لموضوع رسالته «العصر الذهبي لدولة العباسيين وهو الذي كان أقصى لمعانهِ في عهد المأمون بما تفشى في الدولة من مظاهر العلم والثروة واتساع رقعة الملك وانبساط ظل الخلافة ومن اجتمع من اقطاب السياسة والحرب والشعر وما تجلى في خلاله من مظاهر الغنى ودعة العيش ونظام الحكم . . . وما روي عنهُ من الاخبار والاحاديث وما كتب فيهِ وما محي وما كان من توثيق صلة العرب بالامم الاخرى التي دانت بالاسلام . . . » فقد تناول الدكتور رفاعي كل ذلك وما تقدمهُ من اسباب مهّدت لهُ الطريق في عصر الامويين ونظر فيهِ نظرة اجمالية ثم قسمهُ وبوبهُ ثم تناول كل باب على حدة فبحث فيهِ بحثاً مستفيضاً متناولاً اهم المصادر العربية واشهر المؤلفات الفرنجية فقارن بينها مقارنة حصيفة تدل على اطلاع واسع وثقوب نظر في تحليل الوقائع التاريخية

ولا يخفى ان في التاريخ العربي كثيراً من الاقوال التي لا تستند الى سند صحيح يسلم بهِ العقل فموقف المؤرخ ازاءها يجب ان يكون موقف الشاعر القائل

جاءت احاديث ان صحت فان لها شأناً وإلاَّ ففيها ضعف اسناد

فشاور العقل لا ترضَ به بدلاً فالعقل خير مشير ضمّه النادي

هذا هو الشعار الذي جرى عليه الدكتور فريد وان شذَّ عنهُ في بعض الاحيين فما ذلك الا لصعوبة تمحيص الروايات المختلفة . ولو لم يكن لهُ في كتابة هذا المؤلف النفيس سوى هذه الخدمة المفيدة لكفتهُ فخراً

العصور

مجلة انتقادية في الادب والعلم والسياسة

محررها وصاحب امتيازها : اسماعيل مظهر — تصدر مرة كل شهر وعدد صفحاتها ١٠٠ صفحة

اسماعيل مظهر بك معروف لدى قراء المقتطف بمقالاته الكثيرة الممتعة التي تم على سعة اطلاع وجرأة في مخالفة المألوف اذا ثبت لهُ من الحقائق ما يحملهُ على ذلك . فمن مقالاته في « ماهية التاريخ » الى مقالاته في « النسبية » وفي « تطور الفكر العربي بالترجمة والنقل عن اليونان » الى قصصه المصرية القصيرة بون بعيد في الموضوعات ولكن مظهر بك له من سعة الاطلاع وكثرة اجتهاده وانكبابه على البحث والتأليف كفيل بجعل هذه المقالات حافلة بالحقائق مهيبة بالقراء الى التأمل والتفكير. وله في كل ما يكتب نزعة فلسفية تميل الى الفلسفة اليونية التي جرى عليها كونت وسبنسر ولعلها تكونت منهُ حينما ترجم « اصل الانواع » لداروين . لذلك تراه قد جعل شعار مجلته « حرّر فكرك من كل التقاليد والاساطير الموروثة حتى لا تجد صعوبة ما في رفض رأي من الآراء أو مذهب من المذاهب اطمأنت اليهِ نفسك وسكن اليهِ عقلك ، اذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضهُ »

أما « العصور » فقد صدر منها عددان تنقلنا بين مباحثهما فكنا تاركين مع محررها الفاضل في ادارة المقتطف ننتقل معهُ من حديث الى حديث لان مجلة العصور صورة لصاحبها. فبين هو يحدثك عن السفراطية او آراء ويسمن في الوراثة وده فرير في التباين الضجائي تراه وقد اخرج من جعبته ترجمة رواية لطاغور او كتاب نزعة الفكر الاوربي في القرن التاسع عشر لمزنر او قصة مصرية من وضعه. على اننا نخاف ان يكون نصيب مجلته نصيب كل مجلة من نوعها في اوربا واميركا — قلة الاقبال عليها لقلة القراء الذين يعنون عناية صحيحة بامثال هذه المباحث النفيسة . فعسى ان تنال مجلة صديقنا من سعة الانتشار وكثرة الاقبال ما يمهد لها سبيل التقدم النمو

مجلة الشرق الادنى

سياسية اخبارية اقتصادية اسبوعية — لمنشئها امين سعيد

امين افندي سعيد منشىء هذه المجلة من اعرف الكتاب السياسيين في الاقطار العربية بالشؤون العربية. فقد شاهد سير الاحوال في سورية عن كثب واشترك في تحرير جريدة الشرق التي اصدرها احمد جمال باشا قائد الفيلق الهايوني الرابع في اثناء الحرب بدمشق. ثم استقلَّ بانشاء جريدة في دمشق بقي يصدرها الى حين دخلها الفرنسويون بعد معركة ميسلون. ثم عالج مختلف الشؤون العربية في سورية والعراق والجزيرة درساً وكتابة لما كان محرراً في جريدة المقطم يوقع مقالاته بتوقيع « مكاتب سياسي شرقي ». وقد استقلَّ الآن بانشاء مجلة تعنى خاصة بشؤون الشرق الادنى من سياسية واقتصادية وعمرانية. ولهُ من خبرته الواسعة في هذه الشؤون كفيل باعطائها حقها من البسط والتحليل. والشرق الادنى تصدر الآن في ٢٤ صفحة من قطع اللطائف المصورة وتطبع بالمطبعة العربية في شارع المزن بالموسكي بمصر

رسائل في علم الآثار الايجيَّة

Essays in Aegean Archæology

السر ارثر اڤانس من كبار علماء الآثار في هذا العصر وقد كانت لهُ اليد الطولى في الكشف عن عمران كريت القديم والبحث في علاقته بعمران مصر وعمران اليونان. ولد في سنة ١٨٥١ فبلغ الخامسة والسبعين من عمره الحافل بالمآثر في ٨ يونيو سنة ١٩٢٦

وقد جرى الانكليز على عادات مختلفة في تكريم علمائهم منها ان يجتمع نفر من المعجبين بالعالم الذي يريدون تكريمهُ سواء كانوا من تلاميذه او من الذين طالعوا كتبهُ وتأثروا بآرائه فيكتب كل منهُ مقالة في الموضوع الذي اختص بهِ ويكون مدار المقالات كلها البحثُ الخاص الذي عني بهِ موضوعُ تكريمهم. وهذا الكتاب مجموعة من هذا القبيل كتبها طائفة من علماء الانكليز الباحثين في حضارات كريت واليونان ومصر القديمة وقُدمت الى السر ارثر اڤانس هدية في عيد ميلاده الخامس والسبعين

وفي آخر الكتاب قائمة باسم الذين اشتركوا في اهداء هذا الكتاب الى السر ارثر اڤانس وعددهم يربي على الاربعمائة من اصدقائه وتلاميذه والمعجبين بهِ. فنهنىء السر ارثر اڤانس بهذا العيد ونتمنى لهُ عمراً اطول وفائدة اعم

الجداول — نظم ايليا ابي ماضي

لما عدنا من الولايات المتحدة الاميركية من ثلاث سنوات كتبنا مقالاً عن زعماء الادب العربي هناك فقلنا ان ايليا ابي ماضي «شاعر ملء روحه الشاعرية . ولد وترعرع في لبنان وشبّ في وادي النيل وامتلأت اعطاف روحه وفكره في ظل تمثال الحرية فطبعت نفسهُ بجمال الطبيعة في لبنان وبجلال التاريخ ومفاخره في مصر وقبل ان يبرح العالم القديم الى العالم الجديد كان قد تذوق البلاغة العربية الصحيحة فلما جاء ينظم في الموضوعات التي اوحاها اليه فكرهُ في محيطه الجديد جاء نظمهُ متيناً سلس السياق صافي الديباجة سامي الخيال طافحاً بالشعور . وهو الآن المحرر الاولُ في جريدة مرآة الغرب ولهُ على صفحاتها جولات في النقد الادبي تنمّ على فكر رائق وذوق صافٍ ونثرهُ كشعره يمتاز بدقته وسلاسته يبعد في كليهما عن التقعر والتركيب المعقّد »

انقضت ثلاث سنوات منذ كتبنا ما تقدم ضاعفنا في اثنائها كثيراً من شعر ايليا الجديد فلم نزدد الا اعجاباً بشعره ورسوخاً في رأينا المتقدم

تطالع الجداول فتسمع خلال خريرها نغمات مطربة تذكرنا بورد زورث الشاعر الانكليزي الذي فُتن بالطبيعة فنظم في وصفها شعراً فتاناً بصدقه وسلاسته وبلاغته يكشف للناظر عما في جمال الطبيعة من روعة للناظر وعبرة للمتأمل . وتذكرنا ايضاً بشعراء الاندلس وما ابتدعوهُ من التشابيه والاستعارات . فكأن البيئة الجديدة بما فيها من آكام ووهاد وحراج وغياض وانهار وجداول وسماء صافية آناً ومتجهمة اخرى تولد في النفوس الحساسة صوراً بديعة وتوحي اليها بالمعاني الشعرية

وقد سبق المقتطف فنشر لهذا الشاعر المتفرد بطريقة شعره قصائد كان لها وقع كبير لدى المتأدبين في كل البلدان التي يُقرأ فيها المقتطف . واشهرها قصيدة «السجينة» وقصيدة « الطين » وقصيدة « الزمان » وقصيدة « العنقاء » وقصيدة « الموسجة » وكل قصيدة منها بل كل قصيدة من قصائد الديوان تقريباً تدور على فكرة معينة تحوم حولها كل الابيات وترجع اليها . فمتى تبحث في اكثر القصائد عن ابيات خاصة تستلّها وتتمثل بها لان لا قوام لاكثر اياته الا بما يسبقها وبما يتلوها ولان القصيدة وحدة في شعره لا تتجزأ فايليا شاعر ينظم قصائد لا ابياتاً . وهذا لعمري من اكبر ممزات « الجداول »

حديث المائدة

كتاب اجتماعي اخلاقي ادبي فلسفي

نقله عن الانكليزية توفيق زيق . نشرته مجلة الزهرة الحيفاوية وطبع بمطبعتها

وضع هذا الكتاب كاتب انكليزي يدعى دوسن وقد لمحهُ الاستاذ زيق « بالعلامة » . وحبذا لو ذكر لنا اسمهُ كاملاً وبعض مؤلفاتهِ الشهيرة . وقد سمى المؤلف كتابهُ بحديث المائدة اشارة الى عذوبة موضوعاتهِ وطلاوتها وخفة وطأتها على الذهن ويشتمل على ثلاثة وعشرين حديثاً تتنقل بينها من موضوعات روحية ودينية « كحديث البوذية والمسيحية » وحديث « الشكوك الدينية » الى موضوعات علمية واقتصادية كحديث « ملثس » وحديث « المسيحية والاشتراكية » الى موضوعات ادبية خلقية كحديث « الصداقة والزواج » وحديث « فن الادب » وحديث « احتمال الهموم » وغيرها

واليك نبذة من حديث « طلب المعرفة لذاتها » وقد حدّد فيها المؤلف معنى التهذيب قال : « ما هو التهذيب اذاً . هو محبة المعرفة لذاتها . والرجل المهذب هو الذي يواصل درسهُ لانهُ يجد فيهِ ما يهذب ذوقهُ ويرقي فكرهُ . وهو يطالع الكتب أو يؤلفها لمجرد تلك الغاية . وما الكتاب في نظرهِ الا كما كان في نظر الشاعر ملتون « دم الحياة النمين مهراقاً في فصل خالد » . واذا الف كتاباً فهو يفعل ذلك لانهُ يجد في نفسهِ شيئاً يتطلب الظهور ولانهُ يودُّ ان يشرك غيرهُ في ما يحسُّ بهِ » . ويطلب الكتاب من جميل افندي البحري صاحب مجلة الزهرة ومطبعتها ومكتبتها بحيفا فلسطين

﴿ عود النصارى الى جرود كسروان ﴾ وهو بقلم الخوري جرجس زغيب خادم حراجل (سنة ١٧٠١ — ١٧٢٩) نشرهُ وعلق حواشيهِ الخوري بولس قرأ لي صاحب المجلة السورية وحررها وألحق بهِ نبذتين الاولى في الاسرة الخازنية بقلم بولس افندي مسعد والثانية في الاسرة الشتيرية المسيحية بقلم الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف وقد طبع بمطبعة المقتطف والمقطم

﴿ ادب الحجاز ﴾ وهو صفحة من ادب الناشئة الحجازية شعراً ونثراً جمعهُ ورتبهُ السيد محمد سرور الصبان وطبع على نفقة المكتبة الحجازية بمكة في المطبعة العربية بمصر

باب المسائل

نتحنا هذا الباب منذ اول النتاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا وبين حروفا تتدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فيكرره سائله واذ لم ندرجه بعد شهر اخر تكون قد اهملناه لسبب كان

(١) اصل الحثيين وتاريخهم

خليل حنا ابو مريخ . ما هو اصل الحثيين الذين كانوا في سوريا قديماً وماهو تاريخهم والى اي الشعوب ينتسبون أللعائلة السامية ام للعائلة الاوربية

ج . راجعنا كتاب العلامة برستد المعنون «بالعصور القديمة» فوجدنا فيه النبذة الآتية وهي تلخص ما عرف عنهم الى الآن : —

. . لا نعلم بالتحقيق منبت اصلة هؤلاء القوم . اما لغتهم فيكاد يكون من المحقق انها من الفرع الهندي الاوربي . واما موطنهم اصلي الصغرى فشبه جزيرة واسعة الاطراف يتراوح طولها بين ستمائة وخمسين وسبعمائة ميل وعرضها بين ثلاثمائة واربعمائة ميل وداخليتها سهل عظيم مرتفع يكاد قلبهُ ان يكون قفراً يابساً ويحيط بالسهل سلاسل من الجبال تحدق به وتفصلهُ عن البحر وعلى جانبي هذه الجبال اودية وسهول ممرعة ووافرة المحاصيل . والمنحدرات المتاخمة للبحر — ولا سيما البحر الاسود — غابات ناضرة واما سواحل اسيا الصغرى الشمالية شرقي نهر هاليس (المسمى الآن قزل ارمق) ففيها جبال تحتوي على مقادير عظيمة من الحديد . وكان الحثيون الموزعين الاولين للحديد بعد ان حلّ محل البرونز — في البلاد المجاورة لبحر الروم والشرق ايضاً . واما وصل تحتمس الثالث الى شمال سورية في اثناء حملاته على اسيا التي بالحثيين وقد دلتنا الاكتشافات الحديثة على اوائل تاريخهم فانهم سنة ٣٠٠٠ ق . م كانوا قد استقروا في الاناضول الا انهم لم يكونوا قد اتحدوا بعد مملكة واحدة بل كانوا لا يزالون منقسمين الى حكومات متعددة مع شيء من الاستقلال وقد نزح فروع من هذه الامة الى شمال سورية والعراق . وفي القرن العشرين ق . م كانوا كما مرَّ معنا قد بلغوا من الحول والطول

درجة تمكنوا عندها من الاغارة على اراضي الفرات واستمروا مغيرين حتى بلغوا ارض شنعار حيث كانت لهم اليد الطولى في قلب سرير الاسرة المالكة في بابل وكانوا في ملك تحتمس الثالث قابضين على ازمة السياسة في شمال سورية ولكنهم على ما يظهر لم يتصدوا لمناوأة المصريين وصدهم بقوة السلاح . وحوالى سنة ١٤٠٠ ق . م اتحدوا والفوا مملكة تحت زعامة « شيليوليتوما » احد حكامهم من الاسرة المالكة في شمال آسيا الصغرى . وماتبوأ هذا الملك سرير المملكة حتى نشط الى توسيع نطاق ملكه فامتدت مملكته تدريجاً من عاصمته خطي (بالقرب من كوى) التي شيد فيها هو ومن خلفه على العرش قصوراً فخمة واسواراً منيعة، حتى اشتملت على كل داخلية اسيا الصغرى . ثم جعل يناوئ المصريين في سورية بدس الدسائس عليهم فيما بين الامراء الموالين لهم اولاً وشهر الحرب عليهم ثانياً فقطع بجنوده الفرات وكانت له يد في اسقاط ميتاني . وقد وُجد كثير من بقايا آثار الحثيين في البلدان التي استولوا عليها حتى حدود حماة جنوباً ولا ثينة على بلوغهم الى الساحل . ولم يكتف « شيليوليتوما » بمساواته لمصر في شمال سورية بل انضم الى العبرانيين الذين كانوا دائبين على تقويض دعائم ملك مصر في جنوب سورية وفلسطين ومحو آثارهم

(٢) عسر الهضم

الاسكندرية . احد القراء . مضى عليَّ سنتان ونصف سنة وانا مصاب بعسر الهضم وتمدُّد المعدة وقد ضعفت ضعفاً عمومياً . وعادني كثير من الاطباء وكلهم تقريباً متفقون على اني مصاب بالدسبيسيا وتمدُّد المعدة وقد تعاطيت كثيراً من الادوية المقوية والاشربة الحديدية فلم تنجع فيَّ واشار عليَّ احد الاطباء بالسفر الى اوربا والاستحمام بمياهها المعدنية مثل حمامات الفيشي وفرلسبا وشرب مائها . واشار عليَّ غيرهم ان اكتفي بتبديل الهواء في ابي قير او رأس البر والاستحمام بماء البحر . وانا افضل السفر الى اوربا ولكني استصعبهُ كثيراً واخاف ان يحدث لي حادث يذهب بحياتي لانني مصاب باحتقان الدماغ ومن كان مصاباً به فهو معرض لداء السكتة فماذا تشيرون عليَّ

ج . اعتمدوا على رأي طبيب من مشهوري الاطباء وسيروا على علاجه ولا تغيّروهُ الاَّ باذنه . ويظهر لنا ان التدبير الصحي الزم لكم من التدبير الدوائي . ونعني بالتدبير الصحي الاقتصار على الاطعمة المغذية والاقلال منها حتى لا يزيد الطعام على حدّ الشبع والتمهل في الاكل واجادة المضغ حتى لا يزدرد الطعام الاَّ

بعد ما يصير ناعماً جداً ويمتزج بالقصب مزجاً جيداً فانهُ يصير حينئذٍ اسهل هضماً.

ثمَّ لا بدَّ لكم من الرياضة المعتدلة في مكان تقي الهواء ولا بد ايضاً من تقليل الاشغال العقلية او الامتناع عنها تماماً الى ان تشفوا

(٣) صناعة الورق

سورة يارا بالبرازيل. الخواجه عبده فارس عبد المسيح

كيف يصنعون الورق. وهل توجد كتب تعلم هذه الصناعة. وأين توجد اكبر معامل الورق في العالم

ج. المبدأ الذي بنيت عليه صناعة الورق هو استعمال الالياف الخشبية الدقيقة التي في جدران الخلايا النباتية سواء كانت هذه الخلايا في خرق قطنية او في جذوع اشجار او في انواع خاصة من القش. تؤخذ الخرق القطنية مثلاً فتنظف وتقطع وتبلّ وتغلى حتى تتحول ربًّا ثم يؤخذ هذا الربُّ ويوضع في اسطوانة كبيرة وتغمر بماء جار اذا يمكن فيه الصودا وتضرب جيداً حتى تتقطع الالياف الخشبية ويصير الربُّ دقيقاً ثم يلوَّن هذا الربُّ باللون المطلوب او يقصر او يترك على لونه ثم تضاف اليه مادة غروية تمسك الالياف الخشبية الدقيقة معاً فيستطاع مدّها ورقاً ثم يحل كل هذا بالماء ويُمرُّ في آلة كبيرة معقدة التركيب فتخرج الماء رويداً رويداً وتترك الالياف والقراء فتتماسك معاً وتصير ورقاً

هذا هو المبدأ ولكن للعمل فروعاً كثيرة لا يتقنها الا من مارسها زمناً ولو طالع كتبها. وقد زرنا في الصيف الماضي معامل دكنسن الشهيرة ببلاد الانكليز وشاهدنا في احد اجزاء المقتطف التالية

والمرجح عندنا ان اكبر معامل الورق هي المعامل التي تصنع ورق الصحف اليومية لان مقطوعيتها منهُ كبيرة جداً ولعل اكبر هذه المعامل هي المعامل التي انشأها المرحوم لورد نورثكليف في جزيرة نيوفندلند لتصنع لهُ الورق الذي يستعملهُ في جرائده واشهرها حينئذٍ الديلي ميل والتيمس والاسرز والديلي مرر وغيرها. ومن البلدان التي اشتهرت بصناعة الورق فنلندا الى الشمال الغربي من روسيا واسوج ونروج وذلك لان الخشب وهو من اهم المواد التي يصنع منها الورق كثير فيها. وقد رأينا في معامل دكنسن الانكليزية نوع الخشب الواحاً كأنها من الكرتون الكثيف وقيل لنا انها واردة من اسوج

(٣) التبغ والتباك

القاهرة. ا. ص. ايهما اشد ضرراً. مدخن التبغ أم مدخن التباك؟

ج. الارجح عندنا ان التباك اشد ضرراً من التبغ فلو دُخّن كما يدخن التبغ

ما امكن احتمالهُ . ولكن امرار دخانهِ في الماء ثم في « التريش » يبرده ويزيل منهُ بعض المواد السامة فيصل الى الفم اقلّ ضرراً من دخان التبغ . والجزم في هذه المسألة لا يكون الاّ بعد امتحانات كثيرة وتحليل دخان التبغ ودخان التباك تحليلاً كيماويًّا ولم يتصل بنا ان احداً فعل ذلك حتى الآن .

(٤) المطر والهالة حول القمر

ومنهُ . الشائع في لبنان انه اذا كان حول القمر هالة يقع مطر في اليوم التالي فهل هذا صحيح وما سببهُ ؟

ج . صحيح في الغالب وسببهُ ان الهالة تحدث من انكسار نور القمر في بلورات من الجليد طائرة في الهواء وهذه تدل على كثرة الرطوبة وبرودة الطقس وقرب وقوع المطر

(٥) ملوحة الدموع

ومنهُ . لماذا لا تكون دموع الفرح مالحة كدموع الحزن ؟

ج . لم نرَ كتابة لاحد الفسيولوجيين يقول فيها ان دموع الفرح غير مالحة بل بل انهم اطلقوا الملوحة على كل الدموع

(٦) تراكم الافكار وقت النوم

ومنهُ . ما سبب تراكم الافكار وقت النوم وتذكر القديم منها والحديث

ج . الغالب ان سببهُ شدة توارد الدم الى الدماغ فتتنبه بورودهِ المراكز العصبية ومنها مراكز الذاكرة فتتذكر ما هو مخزون فيها قديماً كان او حديثاً

(٧) اللبن الطازة او المغلي

لبنان . سيدة . نريد ان نعرف بطريقة موجزة احدث الآراء فيما يتعلق بشرب اللبن (الحليب) . ايهما اسهل على الهضم اللبن الطازة ام اللبن المغلي وايهما اكثر غذاء وايهما يفضّل بوجه عام للاستعمال في البيوت

ج . اذا شربنا اللبن قبل اغلائهِ تخثر لدى وصولهِ الى المعدة جُلَطاً كل جلطة منها بقدر حبة الفاصوليا المتوسطة الحجم . وهذه الجلط يسهل هضمها على البالغ ولكنهُ يعسر على الاطفال . اما اذا كان اللبن قد اغلي قبل تناوله لم يتخثر في المعدة كما تقدم وكان هضمهُ على الاطفال وغيرهم سهلاً . فاللبن المبستر او المغلي اسهل هضماً على الاطفال

ثم ان اللبن الطازة قد ينقل كثيراً من المكروبات التي يتلوث بها من حين يحلب الى ان يصل الى مائدة الطعام . وزد على ذلك انهُ وسط يسهل فيهِ تكاثر المكروبات اذا لم يحفظ بارداً وتكاثر هذه المكروبات فيهِ تحمضهُ . وعليهِ اذا نظرنا الى اللبن من حيث المكروبات التي قد ينقلها سواء كانت مكروبات امراض او غيرها فالافضل

ان يُغلى اللبن قبل استعماله الاَّ اذا ثبت انهُ نظيف كل النظافة وانهُ يمكن حفظهُ في « ثلاجة » وفي زجاجات نظيفة غسلت بماء أغلي قبل وضعه فيها

اما من حيث الغذاء الذي فيه فلا ريب في ان اللبن الطازه يفضل اللبن المغلى من حيث الفيتامين الذي يحتوي عليه وهو فيتامين (ج) وهذا الفيتامين يقي الاطفال من مرض الاسكربوط . فقد ثبت ان اطفالاً لم يغتذوا سوى بلبن مغلى اصيبوا بالاسكربوط في نهاية الشهر الاول من حياتهم . ويمكن اتقاء ذلك باعطاء الطفل مغلقة صغيرة من عصارة البرتقال او الطماطم لان العصارتين تحتويان على فيتامين (ج) وعصارة البرتقال تفضل عصارة الطماطم من هذا القبيل على ما يعلم الى الآن . اما المتقدمون في السن فيستطيعون ان يعتاضوا من فيتامين اللبن المغلى باكل البرتقال والطماطم وغيرها من الخضراوات والمواد التي تحتوي عليه

الخلاصة انهُ يفضل اغلاء اللبن او بسترتهُ اذا لم يثبت انهُ في الامكان الحصول عليه نقياً بين الشوائب وحفظهُ في مكان بارد لكي لا يحمض . وعلى كل حال يفضل اللبن المبستر في تغذية الاطفال لانهُ اسهل على الهضم

(٨) حرارة جسد الانسان

ومنها . هل تختلف حرارة جسد الانسان بين الصيف والشتاء

ج . كلاَّ ما دام سليماً . ولكن اذا مات الانسان صارت حرارة جسده كحرارة المكان الذي يوضع فيه واذا مرض فقد تختلف باختلاف المرض

(٩) مجلة موسيقية عربية

البصره . العراق . ع الوائلي . هل توجد مجلة موسيقية عربية واين وما هي قيمة اشتراكها

ج . نعم تصدر في مصر مجلة موسيقية عربية تدعى « روضة البلابل » لمنشئها الاستاذ اسكندر شلفون وعنوان ادارتها شارع الظاهر نمرة ٣٥ بمصر وقيمة اشتراكها السنوي ١٧٠ غرشاً مصرياً في خارج القطر المصري

تنبيه

تأتينا مسائل كثيرة لا يمكن الاجابة عنها اما لانها خارجة عن موضوع المقتطف او لانها بدون امضاء او لان كاتبها اكتفى بذكر بعض الحروف مكان اسمه او بقوله « احد المشتركين » او لانها مكتوبة بعبارة غير مفهومة او بخط غير واضح . فنرجو الذين لا يرون مسائلهم في باب المسائل ان يطالعوا ما يطبع بحرف دقيق في صدره

باب الأخبار العلمية

المقتطف نوفمبر

وقفنا صفحات المقتطف الاولى هذا الشهر على ذكر فقيد الامة المصرية وزعيمها الجليل المغفور لهُ سعد باشا زغلول فصدرنا المقتطف بصورتهِ ، ثم بدأناهُ بكلمة لهُ في المقتطف ومنشئ المقتطف يوم قام العالم العربي يحتفل بعيدها الذهبي . ويلي ذلك كلمة للمرحوم عميد المقتطف في سعد باشا نشرها بعدما تولى رآسة الحكومة الدستورية الاولى في ٨ يناير سنة ١٩٢٤ ويلي ذلك خطبة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا في حفلة التأبين الكبرى وصورتهُ ثم خطبة معالي رئيس الوفد المصري وصورتهُ . وبعدها جانب من بحث تاريخي ممتع في سيرة الراحل الكريم للاستاذ صبري ابو علم عضو مجلس النواب وقد قصر البذة الاولى منهُ على نشأة سعد باشا الاولى وأثر الازهر والرجال المتصلين بالازهر في ذلك العهد في تكوينه

ويلي ذلك كلمة بليغة للآنسة مي زيادة عنوانها « الجزء الاول من المقتطف بعد الدكتور صروف »

وبعدها وصف الاستباط الجديد الذي وفق اليهِ المستر بايرد الانكليزي وبهِ يستطيع ان يرى اشباحاً تروح وتجيء في الظلام ثم ينقلها لاسلكيًّا الى مكان بعيد أو قريب فتظهر على لوحة كأنها صور متحركة

فقصيدة نقتاها عن « الجداول » ديوان ايليا ابي ماضي الجديد عنوانها « فاذا الناس كلهم في ثيابي »

ثم فصل موجز لجورج افندي عبود الاشقر موضوعهُ « العلم للعامة » ابان فيهِ ان تقريب قواعد العلم النظري والعملي من تناول العامة من اكبر المفاخر التي يفاخر بها القرن العشرون وان المرحوم عميد المقتطف وقف حياتهُ على ذلك اذ قال يوماً لكاتب المقالة « اكتب لأعلم العامة كيف يقرأون وماذا يقرأون وكيف ينتفعون بما يقرأون »

ويليهِ تتمة البحث في حياة ابن خلدون واسلوبهِ وآرائهِ لفكري افندي مهتدى . وقد تناول فيها ابن خلدون مؤرخاً وفيلسوفاً

ثم فصل بسيكولوجي مفيد عنوانهُ « القلق وأضطراب البال واثرها في الصحة والعمل » للكاتب الاميركي المشهور اورسون سبوت

ماردن . وقد نقله الى العربية ابراهيم افندي دادا

ويليه مقالة علمية طبية عنوانها مذكرات « طبيب عن حمى الدنج » وهي من قلم المرحوم الدكتور غراهام وهو اول من اثبت ان مكروبات هذه الحمى تنتقل بواسطة بعوض كيولكس . وقد ابان في هذه المقالة كيف اثبت ذلك وفيها صورته

فمقالة لاحد ادباء الافاغنة وصف فيها النهضة الحديثة في بلاد الافغان وكيف تناولت التعليم ونظام الحكم ومالية البلاد وصناعاتها مما يدل على ان بلاد الافغان سائرة سيراً حثيثاً على طريق الرقي الصحيح وفيها صورة ملكها روح هذه النهضة

ويليها فصل بسيكولوجي فلسفي لصاحب السعادة عثمان مرتضى باشا عنوانه التباين الخلقي واثر العوامل الباطنية الموروثة فيه

ثم وصف الحفلة التي اقامها كرام اللبنانيين في عاليه احتفالاً بذكرى الدكتور صروف والخطبة النفيسة التي خطبها فيها السر سيد شفير باشا بالنيابة عن اسرة الفقيد الكريم

وبعدها جانب من مقالة علمية نفيسة عنوانها « مذهب دارون في الميزان » وهي خطبة الرآسة في مجمع تقدم العلوم البريطاني الذي التأم في مدينة ليدس هذا الصيف . والخطبة للسر ارثر كيث اشهر العلماء المعاصرين بآثار الانسان القديم وتشوئه

ففصل نقدي عنوانه الجداول للاديب البليغ ادوار افندي فارس حلل فيه ديوان الجداول الذي اصدره الشاعر العربي الاميركي ايليا ابو ماضي في الصيف المنصرم

ويليه مقالة عن رقي الصحافة اليابانية وما بلغته من سعة الانتشار وسرعة نقل الاخبار ونشرها مما جعلها في مقام واحد مع صحافة ارقى الامم الاوربية والاميركية وفيها صورتان

ثم كلام على العلم والدين مقتطف من خطبة لرئيس اساقفة يرمنغهام خطبها على اثر خطبة السر ارثر كيث في مذهب دارون وقد ايد رئيس الاساقفة في خطبته هذه مذهب دارون مع انها تليت في دير وستمنستر بلندن فكان لها رنة في محافل المفكرين واندية

وفي باب تدبير المنزل مقالة صحية خلقية للدكتور شخاشيري موضوعها « الوقاية افضل من المعالجة »

وسائر الابواب حافلة باحدث الانباء عن تقدم العلم والعمران

اوجه القمر في نوفمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٢	٥	١٦	مساء
البدر	٩	٨	٣٦	صباحاً
الربع الاخير	١٦	٧	٢٨	»
الهلال	٢٤	٠	٩	مساء
الحضيض	٨	٥	١٨	مساء
الاوج	٢١	٨	٥٤	صباحاً

السيارات في نوفمبر

عطارد والمريخ لا يشاهدان في اول الشهر ثم يصيران كوكبي صباح في آخره.

الزهرة كوكب صباح

المشتري يغرب نحو الساعة الثانية صباحاً

زحل كوكب مساء.

ميزانية الطيران هذا العام

لميزانية الدولة جانبان جانب الايراد وجانب النفقات. ولميزانية الطيران جانبان جانب الفشل وجانب النجاح او جانب النجاة وجانب الموت. وقد اربى في هذه السنة جانب الفشل على جانب النجاح وزاد عدد الذين ذهبوا ضحية الطيران على الذين فازوا بتحقيق ما يريدون ولكن العلم يتقدم دائماً على جثث ضحاياه

يظهر ان شهر مايو من كل سنة صار يحق ان يدعى شهر الطيران. ففي شهر مايو سنة ١٩١٩ فاز الطيار الكوك الانكليزي باجتياز الاتلنتيكي للمرة الاولى اذ طار من جزيرة نيوفندلند الى ارلندا. وفي شهر مايو سنة ١٩٢٤ فاز الطيارون الاميركيون باجتياز الباسيفيكي في عدة مراحل. وفي شهر مايو سنة ١٩٢٦ فاز الكومندر برد بالطيران الى القطب الشمالي بطيارة وتلاه الرحالة امندسن ففاز بالطيران فوق القطب الشمالي بالبلون نورج. وفي شهر مايو الماضي تمكن الكابتن غراي الاميركي من التحليق الى ارتفاع ٤٢٤٧٠ قدماً وهو اعلى علو بلغه الانسان

وفي شهر مايو الماضي ايضاً فاز الطيار لندبرغ بالطيران وحده من نيويورك الى باريز في مرحلة واحدة. وتلاه في اوائل يونيو الطيار الاميركي كلارنس تشمبرلين فطار مع المستر لفين من نيويورك الى المانيا على مقربة من برلين بعد ما بقيا في الجو ٤٣ ساعة. وفي اواخر يونيو طار الكومندر برد مع ثلاثة طيارين من نيويورك الى باريس فبلغوها ولكنهم لم يستطيعوا النزول فيها لكثافة الضباب ولانكسار بوصلتهم فنزلوا في البحر على مقربة من بلدة ڤيرسيمير فنجوا من الموت ولكن تحطمت طيارتهم تقريباً

وفي اليوم الذي طار فيه برد من

نيويورك طار طيّاران اميركيان آخران من مدينة سان فرنسسكو الى جزائر هواي فبلغاها في ٢٦ ساعة والمسافة بينهما ٢٤٠٠ ميل . وتلاهما طياران آخران طارا من سان فرنسسكو الى جزيرة مولوكاي بطيارة ذات محرك واحد في ٢٥ ساعة ونصف ساعة

ثم اخذت الفواجع يتلو بعضها بعضاً ذلك ان رجلاً اميركيًا يدعى «دول» عرض جائزة قدرها سبعة آلاف جنيه تُعطى ثلاثة اخماسها لاولى من يطير من سان فرنسسكو الى هنولولو بهواي بعد ١٢ اغسطس . والخمسان الباقيان للطيار الذي يتلوه . فهبّ الطيارون للفوز بهذا الشرف . فقتل ثلاثة منهم وهم يعدون معداتهم للطيارة وطارت خمس طيّارات بلغ اثنتان منها هدفهما سالمين واما الطيارات الثلاث الباقية فضاعت في اليم بركابها وسواقيها

ثم حاول طيار اميركي آخر ان يطير من ولاية جورجيا الى ريودجانيرو فضاع ازه

كل ذلك والطيارون الاوربيون يستعدون لاجتياز الاتلانتيكي من اوربا الى اميركا وهم يعلمون ما في ذلك من الخطر . ففي ٣١ اغسطس طار اثنان من الطيارين الانكليز ومعهم البرنس لونشين وريديم بطيارة تدعى سانت رفائيل فنزلت بهم الطيارة في عرض البحر وغرقت بمن فيها ولم يبن لهم اثر . وفي ٦ سبتمبر طار طيّاران اميركيان ومعهم صحافي اميركي من ولاية مين الاميركية قاصدين الوصول الى رومية في مرحلة واحدة فاخفقت رحلتهم وضاعت معالمهم . وفي ٧ سبتمبر طار طيّاران كنديان من نيوفندلند قاصدين الى لندن فنزلا في البحر وغرقا . وكان الطيارون الالمان قد اعدّوا عدتهم للطيران من المانيا الى اميركا ولكنهم بعد ما اجتازوا الجزائر البريطانية عادوا ادراجهم لان العواصف كانت ثائرة والضباب كان كثيفاً والاستمرار في طيرانهم كان حتفاً اكيداً

وفي هذه الاثناء كان طيّاران اميركيان شلي وبروك قد اجتازا الاتلنتيكي في ٢٧ اغسطس فطارا من نيوفندلند الى لندن في ٢٣ ساعة والمسافة بينهما ٢٣٥٠ ميلاً وتابعا طيرانهما الى مونيخ فبلغراد فالاستانة فبغداد فبندر عباس فقراشي فالله اباد فكلكتا فرانغون فهانوى بالهند الصينية فهنغ كنغ فاومورا باليابان فطوكيو فاجتازوا ١٢٩٥٠ ميلاً في ١٨ يوماً . ولما بلغا اليابان توسل اليهما اصدقاؤهما واولاد احدهما ان لا يحاولا اجتياز الباسفيكي طيراناً فعملا وعادا الى اميركا بحراً . وآخر اخبار الطيارين هو فوز الطيارين الفرنسويين باجتياز جنوب الاتلنتيكي من شواطئ السنغال الغربية الى البرازيل . وطيران مس الدر بطيارة

تدعى « الفتاة الاميركية » من نيويورك الى باريس ونزولها في البحر لطارئ ميكانيكي على مقربة من جزائر ازورس فنشلها باخرة هولندية وبعد انتشالها انفجرت طيارتها واحترقت . ولا بد من ذكر طيران الطيار دهبنيدو الايطالي من ايطاليا الى جنوب اميركا الى الولايات المتحدة وعودته الى أوربا وقد فصلنا ذلك في حينه

البحث الاثري في بيسان

كتب المستر الان رو مدير البعثة التي تنقب في بيسان بفلسطين من قبل جامعة بنسلفانيا مقالة في مجلة متحف فلاديلفيا قال فيها ان من الآثار التي عثر عليها سنة ١٩٢٦ وقد يكون لها شأن تاريخي كبير احتاماً اسطوانية الشكل يظن انها حثية او من اصل سوري حثي وحجراً سوري من البروتز ورأس فأس حثي على احد طرفيه يدٌ لها اصابع ممدودة وهذه القطعة مفردة ولكنها تشبهُ نقشاً على حجر وجد في بوغاز كوي عاصمة الحثيين بآسيا الصغرى. فوجود هذه الآثار يدل دلالة واضحة على توغل الحثيين في سورية والى أي مدى بلغوا. وقد عثر المنقبون أيضاً على مثال لكرسي او عرش شبيه بالآثار الكريتية وعليه مسحة مصرية وعلى مائدة شبيهة بالآثار الكريتية مما يدل على اتصال الحضارة التي كانت زاهرة حول بحر ايجه بفلسطين عن طريق قبرص. وهذا يؤيد ما ذهب اليه بعض المؤرخين من ان الفلسطينيين جاءوا فلسطين اولاً من كريت وقبرص

مؤتمر الطبيميات الدولي

عقد اجتماع علمي في بلدة كومو الايطالية في الاسبوع الثاني من شهر سبتمبر الماضي حضرهُ اكبر علماء الطبيعة في هذا العصر احتفالاً بانقضاء مائة سنة على وفاة فولطا العالم الكهربائي الايطالي الذي خلد اسمهُ في العلوم والاعمال الكهربائية باطلاق « الفولط » على احدى وحدات القوة فيها

ومن العلماء الذين حضروا هذا الاجتماع الاستاذ لورنتز العالم الطبيعي الهولندي والسناتور ماركوني والسر ارنست رذرفورد والدكتور استن والاستاذ براغ الانكليزي والاستاذ ملكان الاميركي والاستاذ مكلنان الكندي والاستاذ بوهر الدنماركي وغيرهم من علماء ايطاليا والمانيا وفرنسا . ودار البحث على بناء المادة وطبيعة النور وتعليل الكهربائية وتطبيقها . وبعد انقضاض الجلسات العلمية زار العلماء رومية فاستقبلهم السنيور موسوليني واعرب لهم عن شكره وشكر الامة الايطالية للفوائد العلمية الجمة التي جنيت من اجتماعهم . ثم

اجتمعوا في بناء البلدية في رومية فخطب فيهم السنيور ماركوني خطبة تدور على حياة فولطا ومباحثه

عيد برتيلو المئوي

نشرنا في مقتطف يوليو الماضي مقالة ممتعة عنوانها التذكار المئوي لرسيلات برتيلو انشأها الدكتور يوسف حريز ووصف فيها اعمال برتيلو ومباحثه الكيماوية. وقد سبق للمقتطف فنشر لهذا العالم ترجمة في مقتطف مايو سنة ١٩٠٧ واعدنا نشرها في « اعلام المقتطف » صفحة ٢١٧

وُلد برتيلو في ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٢٧ وتوفي في باريس في ٨ مارس سنة ١٩٠٧ . وقد اعدّ الفرنسويون سلسلة من الحفلات الفخمة احياء لذكره واحتفالاً بانقضاء مئة عام على ولادته . بدأت هذه الحفلات في ٢٣ اكتوبر بحفلة انسكيرة في دار السوربون وفي اليوم التالي دعيَ اعضاء البعثات الاجنبية التي قدمت باريس لحضور هذه الحفلات الى افتتاح معرض برتيلو في المدرسة الصيدلية ثم زاروا معمله في « كوليج ده فرانس » وفي ٢٥ اكتوبر اقيمت حفلة فخمة في الباثيون ومأدبة في قصر فرسايل وسهرة في الاوبرا وفي ٢٦ اكتوبر اقيمت حفلة كبيرة لوضع حجر الزاوية في « دار الكيمياء » الجديد ثم عقد اجتماع في « الانستيتو ده فرانس » وتلتهُ حفلة في قصر الاليزه بدعوة من رئيس الجمهورية الفرنسوية ، وبذلك انتهت الحفلات

الانبا كيرلس الخامس

انتقل الى دار البقاء في صبيحة الاحد ٧ اغسطس الماضي المثلث الرحمات الانبا كيرلس الخامس بطريرك الاسكندرية والحبشة والنوبة واحدى المدن الغربية لطائفة القبط الارثوذكس وقد عمّر فوق المائة قضى منها ٥٣ سنة بطريركاً على كرسي مرقس الرسول الذي بشر مصر بالدين المسيحي في منتصف القرن الاول للميلاد . وقد كان الانبا كيرلس المائة والثاني عشر في عداد البطاركة الذين خلفوا مرقس الرسول وقد شهد حكم محمد علي الكبير واحفاده الى عهد جلالة الملك فؤاد وعاصر وهو في المنصب البطريركي الخديويين اسماعيل وتوفيق وعباس والسلطان حسين والملك فؤاد وكان موضوعاً لاحترامهم جميعاً خصوصاً لما اشتهر به من الزهد والتقشف في حياته . أما علاقاته مع الطوائف المسيحية الاخرى فكانت على خير ما يرام فاشتركت جميعها في الاعراب عن أسفها عليه وعطفها على الكنيسة القبطية في حزنها على فقده وكان

للانا كيرلس الخامس في الحركة الوطنية الاخيرة موقف مشرف ظل المغفور لهُ زعيم البلاد يذكرهُ بالاجلال والامتنان

تقرير معهد ركفلر الصحي

صدر تقرير معهد ركفلر الصحي عن سنة ١٩٢٦ وفيهِ ان المعهد انفق في تلك السنة ٦٥٢١٠٥ جنيهات وزع جانباً منها على مجالس الصحة في كثير من البلدان التي تكثر فيها الحمى الصفراء والحمى الملارية والانيميا الخبيثة لمكافحتها ووزع جانباً آخر على جمع الاحصاءات الصحية ونشر التعليم الصحي في بلدان مختلفة ، وآخر على تشجيع البحث العلمي في المدارس الطبية وآخر على تعليم ٢٥٣ رجلاً وامرأة من ٣١ بلداً مختلفاً علوم الصحة العامة والتخصص فيها . ونشر حقائقها وقد اشترك المعهد مع قسم الصحة التابع لجمعية الامم في مكافحة الامراض والاوبئة ونشر الحقائق الصحية

بلورات الانسولين

تمكن الاستاذ أبل احد اساتذة جامعة جونس هوبكنز الطبية من استحضار الانسولين نقيًّا من كل شائبة ثم بلورهُ وقد منح على عملهِ هذا أعلى وسام تمنحهُ الجمعية الكيماوية الاميركية لانهُ غاية في الدقة والفائدة

اقصى سرعة الطيارات

خمسة أميال في الدقيقة

في ٢٦ سبتمبر الماضي تبارت الطيارات المائية الايطالية والطيارات المائية الانكليزية في مياه البحر الادرياتيكي على مقربة من البندقية للفوز بكاس شنيدر الذي ربحتهُ ايطاليا في السنة الماضية من الولايات المتحدة الاميركية . ففاز بالكاس الطيار الانكليزي وبستر اذ بلغ متوسط سرعتهِ ٢٨١و٤٩ من الميل في الساعة وتلاهُ طيار انكليزي آخر يدعى ورسلي فبلغ متوسط سرعتهِ ٢٧٣و٦٦ الميل في الساعة . ويقال ان سرعة الطيار وبستر بلغت في الاشواط المستقيمة نحو ٣٠٠ ميل في الساعة أو خمسة اميال في الدقيقة ولكنهُ كان يضطر ان يخفض سرعتهُ قليلاً على المنعطفات لئلا تتحطم الطيارة او تنقلب به فهبط متوسطهُ الى ٢٨١و٤٩ الميل كما تقدم . وكان طول الشوط الذي تباروا فيهِ نحو ٢٢٠ ميلاً وفيهِ ٢٢ عطفة

الواح غلوزل

اشرنا الى هذه الالواح التاريخية وصورنا احدها في مقتطف دسمبر سنة ١٩٢٦ . ثم ذكرنا في مقتطف اغسطس ان بعض العلماء يدعون انها مزورة وان

بعض علماء الفرنسويين والانكليز متفقون على ذلك . ولا تزال المناقشة دائرة في هذا الموضوع . فالدكتور مورله يعتقد انها صحيحة وانها من العصر الحجري الحديث مع ان الحروف المنقوشة عليها تشبه الحروف الفينيقية. وقد صدر امر الحكومة الفرنسوية الآن بجعل البقعة التي وُجدت فيها هذه الالواح ملكاً للامة الفرنسوية وعين المسيو بيروني المختص بدرس آثار العصر الحجري مديراً لها يساعدهُ في ذلك المسيو شاميون . وينتظر ان يدوّن كل ما يكشف فيها منذ الآن ويوصف . فعسى ان يؤدي ذلك الى ازالة الشك الذي حام حول هذه الالواح

وفاة ارهينيوس

الاستاذ سڤته ارهينيوس من اكبر علماء الكيمياء في هذا العصر . وهو اسوجي ولد سنة ١٨٥٩ ونال جائزة نوبل للطبيعيات سنة ١٩٠٣ وتوفي في ٢ اكتوبر الماضي . وسنعود الى ترجمته في الجزء التالي

الطيار برد والقطب الجنوبي

كان الكومندر برد الاميركي اول من بلغ القطب الشمالي بالطيارة وذلك في مايو سنة ١٩٢٦ وفي يونيو الماضي طار مع ثلاثة من الطيارين الاميركيين من نيويورك الى فرنسا بعد ما سبقهُ الى اجتياز الاوقيانوس الاتلنتيكي لندبرغ وتشمبرلين. وهو يعدُّ معداته الآن للطيران الى القطب الجنوبي وتدوين الارصاد العلمية كما فعل في رحلته الى القطب الشمالي

اللاسلكي بين انكلترا وكندا

في ٣ اكتوبر الماضي افتتح خط التلفون اللاسلكي بين بلاد الانكليز وكندا فتخاطب المستر بولدون رئيس الوزارة الانكليزية من مكتبهِ بلندن مع المستر مكنزي كنج رئيس وزارة كندا في مكتبهِ باوتوى عاصمة كندا . وتخاطب ايضاً مراسل التيمس اللندنية من مدينة تورنتو مع رئيس تحريرها في لندن

تصحيح خطأ

وقع خطأ مطبعي في مقالة الاستاذ جبر ضومط المنشورة في مقتطف اغسطس الماضي صفحة ١٥٣ في بيت الشعر الشاهد وصوابهُ .

اني امرؤٌ عاهدني خليلي
الا اقيم الدهر في الكيّول
أضربْ بسيف الله والرسول

الجزء الثالث من المجلد الحادي والسبعين

صفحة
٢٤١ كلمة المغفور لهُ الزعيم الجليل في المقتطف (مصوّرة)
٢٤٢ كلمة المرحوم الدكتور صروف في سعد باشا
٢٤٣ نواحي عظمة سعد (مصوّرة)
٢٥٢ سعد زغلول . للاستاذ صبري ابو علم عضو مجلس النواب
٢٦٠ الجزء الاول من المقتطف بعد عيده . للآنسة (مي) زياده
٢٦٢ عين ترى تحت ستار الظلام
٢٦٥ فاذا الناس كلهم في ثياب . (قصيدة) لايليا افندي ابي ماضي
٢٦٧ العلم للعامة . لجورج افندي عبود الاشقر
٢٧٠ عبد الرحمن بن خلدون . لشكري افندي مهتدي
٢٧٨ القلق واضطراب البال . لابراهيم افندي دادا
٢٨١ مذكرات طبيب عن حمى الدنج
٢٨٨ النهضة الشرقية الحديثة في بلاد الافغان
٢٩٤ البيان الخلقي . لسعادة عثمان باشا مرتضى
٢٩٩ ذكرى عيد المقتطف في لبنان
٣٠٢ خطبة السر سعيد باشا شقير
٣٠٦ مذهب داروين في الميزان . للسر ارثر كيث
٣١٢ الجداول . لادوار افندي فارس
٣١٨ الصحافة في اليابان (مصوّرة)
٣٢٣ العلم والدين
٣٢٦ باب تدبير المنزل * الوقاية افضل من المعالجة . فوائد منزلية
٣٣٣ باب الزراعة * مركز سوق القطن . مقطوعية القطن في العالم . الاطيان المزروعة في القطر المصري . غزل القطن ونسجه في اليابان . واردات القطن على الاسكندرية وصادراته منها
٣٤١ باب التقريظ والانتقاد *
٣٤٧ باب المسائل * وفيه ٩ مسائل
٣٥٢ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٦ نبذة

حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول

راجع مقالة الرحلة الملكية الاوربية صفحة ٣٦٩